جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مراثي الحسين في الشعر الأندلسي
رؤية فنية ونقدية

إعداد

د/ محمد عبد العزيز عبد العزيز عبد الحميد

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر

(العدد السادس والثلاثون)

(الإصدار الأول .. فبراير)

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مراثي الحسين في الشعر الأندلسي رؤية فنية ونقدية

محمد عبد العزيز عبد العزيز عبد الحميد

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Moohammedabdelaziz.32@azhar.edu.eg

الملخص:

يعالج البحث مراثي شعراء الأندلس للإمام الحسين، حيث وقفت على العوامل النفسية والفكرية التي بنيت عليها المرثية وكونتها؛ وقد صور الشعراء هذه الفاجعة تصويرا حيًا، يكشف عن عمق المأساة وخطرها، وشدتها على النفوس المؤمنة، وهو تصوير يوحي بانفعال الشعراء الصادق بما أصاب الحسين وآل بيت النبوة في كربلاء، وبدت نزعة الحزن جلية في هذه القصائد، بدا ذلك واضحا في تعبير الشعراء عن حزنهم وتألمهم، حيث نجد حرارة الانفعال بالموقف، وقوة الشعور، وعمق الإحساس بجلال هذا الخطْب وعظمته، ومدى تأثيره على النفس، وتناولت أبرز الوسائل التي ساهمت في الكشف عن التجربة، وتشكيل الصورة، وتوصلت إلى وجود تواؤم وترابط في المرثية الحسينية بين أفكارها ومعانيها وصورها، إذ يلفها رابط واحد يهيمن عليها، هو الحزن والألم، والأسى والشجن، وكانت هذه المراثي بمعانيها وأفكارها وصورها متوائمة مع الجو النفسي الذي يعيشه الشعراء، ملتحمة به، مفضية في النهاية إلى تعانق الأفكار مع المعاني، وتآزر الشكل مع المضمون، معبرة عن إحساس الشاعر الصادق تجاه الحسين، وقد جاء البحث في أربعة مباحث وتمهيد وخاتمة، تناولت في التمهيد: الأحداث التاريخية، والدوافع الدينية. وفي المبحث الأول: تحدثت عن العوامل النفسية والفكرية التي بنيت عليها المرثية وكونتها؛ ثم كان المبحث الثاني؛ وفيه وقفت مع المعجم الشعري، والمعاني وسماتها، وأساليب التعبير التي استعان بها الشعراء في التعبير عن تجربتهم. وجاء المبحث الثالث وفيه تناولت أبرز الوسائل التي

ساهمت في الكشف عن التجربة، وتشكيل الصورة، ثم وقفت أخيرا مع العاطفة أتلمس مدى صدق الشعراء في مراثيهم، أما المبحث الرابع فعني بالحديث عن الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية، ثم كانت الخاتمة؛ وفيها أشرت إلى ما تضمنته فصول البحث من حقائق، وانتهت إليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية: الرثاء، الإمام الحسين، الشعر الأندلسي، فنية، ونقدية.

Laments for Hussein in Andalusian poetry, an artistic and critical vision

Mohamed Abdel Aziz Abdel Aziz Abdel Hamid
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language in Mansoura, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: Moohammedabdelaziz.32@azhar.edu.eg

Abstract:

The research deals with the elegy of the poets of Andalusia for Imam Hussein, as it stood on the psychological and intellectual factors on which the elegy was built and formed; The poets portrayed this tragedy vividly, revealing the depth of the tragedy, its danger, and its severity on the believing souls, and it is a depiction that suggests the poets' sincere emotion over what befell Hussein and the family of the Prophet in Karbala, and the tendency of sadness was evident in these poems, and this seemed clear in the poets' expression of their grief. And their pain, where we find the heat of emotion with the situation, the strength of feeling, the depth of the sense of the majesty and greatness of this sermon, and the extent of its impact on the soul, and it dealt with the most prominent means that contributed to revealing the experience and shaping the image, and it reached the existence of harmony and interdependence in the Husayni lament between its ideas, meanings and images, as it It is surrounded by a single link that dominates it, which is sadness and pain, sorrow and grief. These elegies, with their meanings, ideas and images, were in harmony with the psychological atmosphere experienced by the poets, merging with it, leading in the end to the embracing of ideas with meanings, and the synergy of form with content, expressing the poet's sincere feeling towards Al-Hussein, and the research came in four topics, a preface and a conclusion, which dealt with in the preface: historical events and religious motives. In the

first topic: I talked about the psychological and intellectual factors on which the epitaph was built and formed; Then the second topic was; In it I stood with the poetic lexicon, the meanings and their characteristics, and the methods of expression that poets used to express their experience. And the third topic came, and in it I dealt with the most prominent means that contributed to revealing the experience and forming the image, then I finally stood with emotion, sensing the sincerity of the poets in their elegies. As for the fourth topic, I talked about external music and internal music, then the conclusion was; In it, I referred to the facts included in the chapters of the research, and concluded with the results.

Keywords: Lamentation, Imam Hussein, Andalusian Poetry, Artistic And Critical.

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فقد كنت شغفت منذ زمن بالبحث في التراث الأندلسي، لعلي أظفر من غرره البهية بما يبُل الصدى ويشفي الغلة، حتى هداني الله– تعالى– إلى قصائد تفيض أسًى ولوعة، وتعبر عن خطرات النفس الملتاعة، ولهيب الأفئدة المتَّقِدَة، وتسمو بعاطفةٍ جياشة صادقة، وفكرة جادة ناصعة، ترثي سبط رسول الله–صلى الله عليه وسلم، وآله، سيدنا الحسين–رضي الله عنه– فرحت أمرغ الخد في ثراها النديّ، واشتم عبق أريجها الشذيّ.

وترجع قيمة هذه المراثي إلى أنها تزخر بالمعاني السامية، والعواطف الصادقة، وتعبر عن آلام النفس البشرية، وإحساس الشاعر الصادق، خاصة إذا كانت في الحسين ابن بنت رسول الله، وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، فالجرح أشد، والرزء آكد، والمصيبة أدهى وأمر.

وهذه البكائيات لم تقطِفْ أزهارها–فيم أعلم–يد الباحثين، ولم يشتم عبقها أحد من الدارسين، فقطفت من أزهارها، وشممت من أفيح أنوارها ما حفزني إلى مطالعتها ومدارستها، وإن كان من دراسات فهي عامة في الرثاء، منها: الرثاء في الأندلس في عصر ملوك الطوائف(١)، والرثاء في الشعر الأندلسي في عصري المرابطين والموحدين(٢)، ومأساة الحسين في الأدب الأندلسي، وهو بحث[١] للدكتور عبد السلام الهراس كان دافعا مهما لدراسة هذا الموضوع.

---

(١) (ماجستير): فدوى عبد الرحيم، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية بالأردن٢٠٠٢م.

(٢) (ماجستير): مهدي عواد، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية،٢٠١٠م.

يضاف إلى ذلك: انحناء هذه المراثي على كثير من القيم الجمالية والفنية التي تغري الدارس باستجلائها، والتحاور مع أبعادها، والتطلع في أهدافها، وجلال الموضوع الذي تتحدث فيه هذه المراثي، وجلال المرثيّ ومنزلته من النبي–صلى الله عليه وسلم– والكشف عن مدى صدق الشعراء في تجربتهم.

وقد جاء البحث بعد هذا التقديم في أربعة مباحث وتمهيد وخاتمة. تناولت في التمهيد: الأحداث التاريخية، والدوافع الدينية. وفي المبحث الأول:(البناء النفسي والفكري) تحدثت عن العوامل النفسية والفكرية التي بنيت عليها المرثية وكونتها؛ ثم كان المبحث الثاني؛(الصياغة التعبيرية) وفيه وقفت مع المعجم الشعري، والمعاني وسماتها، وأساليب التعبير التي استعان بها الشعراء في التعبير عن تجربتهم. وجاء المبحث الثالث(التصوير الأدبي)؛وفيه تناولت أبرز الوسائل التي ساهمت في الكشف عن التجربة،وتشكيل الصورة، ثم وقفت أخيرا مع العاطفة أتلمس مدى صدق الشعراء في مراثيهم، أما المبحث الرابع (الموسيقى الشعرية) فعني بالحديث عن الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية، ثم كانت الخاتمة؛ وفيها أشرت إلى ما تضمنته فصول هذا البحث من حقائق، وانتهت إليه من نتائج، ثم ختمت البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

=

(١) مجلة المناهل: الأعداد:(١٢، ١٤، ١٦) ١٩٧٨، ١٩٧٩م، وزارة الشئون الثقافية بالمغرب.

تمهيـــد: الأحداث التاريخية، والدوافع الدينية.

اشتدت قبضة الأمويين في الأندلس في مقاومة الفكر الشيعي، واستطاعوا وأده في مهده بشتى الطرق، ورموا كل من يظهر تشيعه بالإلحاد والكفر، والخروج من السنة والجماعة، لذا لم يتح للأفكار الشيعية الانتشار بين الأندلسيين في عهد الأمويين.

ولما أذن الله بزوال دولتهم، وركود الريح المروانية بهذه البلاد القصية، بدأت بذرة الأشعار التي تتصل بآل بيت رسول الله تنبت وتنمو أوراقها، واتجه بعض الشعراء نحو الحمُّوديين[1] يمدحونهم ووجدوا في نسبهم الطالبي مادة يتشبثون بها رغبة في نيل عطاياهم، منهم: ابن دراج، وابن الحناط، وعبادة بن ماء السماء، وغيرهم[2].

ثم يأتي بعد ذلك عهد جديد، هو عهد ملوك الطوائف، فقد آلت الأندلس إلى إمارات متناثرة، لا يجمع بينها وفاق، ولا يضمها حاكم قوي يجمع شملها، وباتت ضعيفة لا تقوى على مواجهة هجمات أبناء الصليب الذين يتحينون الفرصة للقضاء على دولة الإسلام في الأندلس. ولم يزل ثغر الأندلس يضعف، وشوكة العدو تقوى، والفتنة بين أمراء الأندلس تستعر، وأخذت يد العدو الغاشم تنوش بلاد الأندلس وحصونها من كل جانب، حتى أتت على أكثرها، فأهلكوا الحرث والنسل، وعاثوا في الأرض فسادًا، وأشاعوا القتل والذبح في المسلمين، واستولوا على الطارف والتليد، وقُوضت المساجد والمعالم الإسلامية، ونسخ نداء

(١) ينظر: "إيجاز الخبر في إمارة علي بن حمود" الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسّام الشنتريني، تحقيق: د. إحسان عبّاس١/١/٩٦-١٠٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: د.عبد السلام الهراس، مجلة المناهل، العدد (١٢) يوليو ١٩٧٨م، وزارة الشئون الثقافية، المغرب، ص ٢٠٣-٢٠٧.

الحق بناقوس الصليب، وأُصيب صرح الأندلس الشامخ، وعاد الإسلام غريبا في هذه البقعة النائية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!.

ونتيجة لسيطرة دوله الصليب على بلاد الأندلس، والهزائم المتلاحقة التي مُني بها الحكم الإسلامي في الأندلس، والصراع الداخلي بين الأمراء المسلمين، واليأس من مقدرتهم على صد هجمات الأعداء وحماية ما بقي من المدن الأندلسية– أخذ الشعور الديني ينمو ويشتد، وبدأت نفوس المسلمين تتجه نحو ربها، والتشفع بنبيها، والاستنجاد به، من تلك المحن والمصائب التي أحاطت بالمسلمين في الأندلس(١).

يمم الشعراء والكتاب وجوههم شطر الإسلام والتعلق بنبينا الكريم–عليه الصلاة والسلام– فكانوا يسجلون ما تنطوي عليه نفوسهم من ألم وحزن في رسائل تفيض بالصدق وحرارة الشوق إلى زيارته، يبعثون بها إلى قبره الشريف تنفيسًا عما يشعرون به وطأة الظلم والقهر، مستغيثين به، عسى الله أن يكشف عنهم هذه الغمة التي بليت بها البلاد والعباد(٢).

(١) ينظر: الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين)د. إحسان عباس، ص٣٠٣، دار الثقافة، بيروت، السادسة١٩٨١م. وقد ألمح المقّري إلى ذلك حين قال: "ولم يزل أهل الأندلس بعد ظهور النصارى– دمرهم الله تعالى–على كثير منها– يعني مدن الأندلس– يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لأخذ الثأر، بالنظم والنثار، فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق، وأَعْضَل الداءُ أهل الغرب والشرق". نَفْحُ الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب: الشيخ أحمد بن محمد المقَّرِّي التلمساني، تحقيق: د.إحسان عبّاس ٤٧٩/٤، دار صادر، بيروت ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والإمارات، الأندلس)د. شوقي ضيف، ص٤٨٠، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٩م.

كما وجدوا في الحسين وما أصابه من ظلم وغدر وتعذيب انتهى بجز رأسه وفصلها عن جسده رمزًا معبرًا عن مأساتهم، وما هم فيه من ويلات الاستعمار، فكانوا يبثون شجونهم ويفرغون همومهم في رثائه وبكاء من كانوا معه من آل بيت رسول الله، ولم يجدوا رمزا أشد إيحاءً وتأثيرًا في النفوس من الرمز الحسيني[١] فراحوا يسطرون فيه القصائد الثكلى والمراثي البواكي التي تفيض حزنا وألما وشجوًا وحنينا وحبا وشوقا إلى آل بيت رسول الله.

لقد بكى الحسين رهط كثير من الشعراء، ويبدو أنهم لم يرثوه بعد موته مباشرة كما يفهم من كلام أبي الفرج الأصفهاني: "وقد رثى الحسين بن علي.. جماعة من متأخري الشعراء أستغني عن ذكرهم في هذا الموضع كراهية الإطالة، وأما من تقدم فما وقع إلينا شيء يرثي به، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافة من بني أمية وخشية منهم"[٢].

ومن أهم الآثار الأندلسية التي عنيت بالحسين ومأساة كربلاء: "دُرر السمطِ في خبرِ السِّبْطِ" لابن الأبار، أورد منه المقري فصولا، ورآه غاية في بابه، ولم يورد منه إلا قليلا،لأن في الباقي–كما يرى– ما تُشمُّ منه رائحة التشيّع[٣] وله أثر آخر أوثق صلة ببحثنا وهو "معدن اللجين في مراثي الحسين" وكما يبدو من

(١) ينظر: مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: د.عبد السلام الهراس، مجلة المناهل، العدد (١٤) يوليو ١٩٧٨م، وزارة الشئون الثقافية، المغرب، ص٩٢.

(٢) مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر ص١٢٢، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م.

(٣) ينظر: نفح الطيب ٤/ ٥٠٦. ينظر هذه الفصول: ٤/٥٠٠-٥٠٦. طبع هذا الكتاب بتحقيق: د.عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧م.

العنوان فهو يحوي مراثي شعرية قيلت في رثاء الحسين له ولغيره[١]، وهو من الكتب المفقودة التي لم تصل إليها يد الدارسين.

وظل الأندلسيون يبكون الحسين في ذكرى استشهاده حتى عصر ابن الخطيب، يقول مشيرا إلى ذلك: "ولم يزل الحزن متصلا على الحسين والمآتم قائمة في البلاد يجتمع لها الناس ويختلفون لذلك ليلةَ ويومَ قُتلَ فيهِ بعد الأمان من نكيرِ دُولِ قتَلَتهِ، ولاسيما بشرق الأندلس، فكانوا على ما حدثنا به شيوخنا من أنهم بالشرق (شرق الأندلس) يقيمون لهم الجنازة في شكل من الثياب يسجوه خلف سترة في بعض البيت ويحتفل بالأطعمة والأضواء والشموع، وتجلب القراء، ويوقد البخور ويتغنى بالمراثي الحسينية"[٢].

لقد كان مقتل الحسين حدثًا مدويًا، زلزل قلوب المسلمين وأثر في نفوسهم تأثيرًا عظيمًا، ولو كان مقتله بيدٍ كافرة مشركة بالله ورسوله لسهل الخطب وهان، لكنه قتل بأيد مسلمة تؤمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبجده نبيا ورسولا، وتعلم قدر الحسين، وهذا هو الخطب الأعظم الذي ألهب الأفئدة والجوانح، وهز الجبال الرواسخ، وملأ قلوب المؤمنين حزنًا وألما، وكان مقتله بهذه الطريقة الغادرة معينًا دفاقًا يعبّ منه الشعراء، فكانت هذه القصائد التي تبكيه وترثيه كاشفة عن عمق المأساة، وفداحة الرزء، وتفيض أسى ولوعة، وتقطر حزنا وألما، وشوقا وحبا للحسين وآل بيت رسول الله، وهو ما تكشف عنه الصفحات التالية–إن شاء الله تعالى.

---

(١) ينظر: مأساة الحسين في الأدب الأندلسي، ص٢٣٣، مجلة المناهل، ع(١٦) ديسمبر ١٩٧٩م.

(٢) إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام للسان الدين بن الخطيب، تحقيق: سيد كسروي حسن ٧٤/١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م. الجزء الذي يعنى بالمشرق وعثر عليه المحقق مؤخرا.

المبحث الأول: البناء النفسي والفكري

تنتظم المرثية عدد من اللبنات النفسية والفكرية التي تقوم عليها وتؤثر في بنائها، ولها أثرها الواضح في التعبير عن أثر فاجعة مقتل الحسين–عليه السلام– في نفوس الشعراء، على ما يبدو واضحا في السطور التالية:

أولا- مقتل الحسين رُزء عظيم

إن مقتل الحسين[1] سبط رسول الله– صلى الله عليه وسلم–بتلك الصورة الوحشية المؤلمة في كربلاء مصاب عظيم، ورزء جسيم، وغصة في القلب لا تستساغ، وحرقة بين الجوانح لا تندمل، وهمّ مقيم في قلب كل من يحب رسول الله وآل بيته الكرام،لا يكشفه إلا الصبر والاحتساب، والرضا بقضاء الله–تعالى– وقدره.

وقد صور الشعراء هذه الفاجعة تصويرا حيًا، يكشف عن تأثرهم بها، وتأثيرها في نفوسهم، فأكدوا على خطرها، وكشفوا عن وقعها الشديد على النفس، ومن هذه النماذج قول ابن أبي الخصال[2]:(من الخفيف)

إنَّ فـي (كـربلاءَ) كـربًا سـقيمًا فـتنَ المؤمنيـنَ والمؤمنـاتِ

---

(١) كان مقتل الحسين في العاشر من المحرم (٦١هـ). ينظر في خبر مقتله تاريخ الطبري: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٥/٤٠٠ وما بعدها، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م.

(٢) الوزير الكاتب الشاعر أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي، كان متقدما في الآداب، عالما بالأخبار، عني بالحديث، وله شعر يؤكد على مقدرته في الصناعتين، وَزَرَ للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين. توفي مقتولا(٥٤٠هـ). ينظر في ترجمته: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: الفتح بن خاقان، تحقيق: د.حسين يوسف خريوش١/٥١٨، مكتبة المنار، الأردن، الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. الذخيرة: ٣/٢/ ٧٨٦، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار ص١٤٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٨م.

فـاتني نصـركمْ بنَصْـلِي، فنصْـرِي بفـــؤادٍ مجـــدِّدُ الزفـــــراتِ
وقـــوافٍ موســـومةٍ بدمـــــوعٍ قـــدحتْ فـــي توقّـــدِ الجمـــراتِ
مـــا بقـــاءُ الدمـــوعِ بعـــدَ حســـينٍ؟ فخُـــذي مـــن صـــميمِ قلبـــي وهـــاتِ
أتكـــونُ الـــدموعُ فيـــه وفـــي النـــــ ـــاسِ ســـواءٌ؟ كـــلا وهـــادي الهـــداةِ
هـــوَّنَ اللهُ بعـــدهم كـــلَّ خطـــبٍ وحلّـــت لـــيْ عـــلاقمُ الحادثـــاتِ(١)

إن مقتل الحسين بهذه الصورة المؤلمة كرب عظيم، صدع فؤادَ الشاعر، وأحرق كبده، وأوهنَ قُواه، وأثر في قلب المؤمنين، والشاعر إن فاته شرف نصرة الحسين وآله بنصله، فقد نصره بقوافٍ تفيض أسى ولوعة، وفؤاد ملتهبٍ، وكبدٍ متقدة، ودموع واكفةٍ، لا تنقطع حزنًا وتألمًا على مقتل سبط رسول الله وآل بيته الكرام.

وإذا كانت للألفاظ إيحاءات ودلالات وظلال بما تحمله من تأثير، وبما تملكه من طاقة تعبيرية ورحابة معنوية غنية الدلالة، وظلال إيحائية مرشدة إلى ما في نفس الشاعر من مشاعر وأحاسيس وخواطر – فإن التأكيد بـ (إن) المكسورة، يكشف عن انكسار الشاعر، ويوحي بنفس منكسرة لما أصاب الحسين، والاستفهام بـ (ما)عن بقاء الدموع بعد مقتل الحسين، و(بالهمزة) في(أتكون)، يكشف عن عمق المأساة ويوحي بحزن شديد وحسرة وتألم، فالتعبيرات تفيض بالعبرات أسى وحزنا وألما.

وتعبير الشاعر وتصويره:(كربًا سقيمًا، مجدد الزفرات، قواف موسومة بدموع، قدحت، صميم قلبي، هون الله كل خطب) يكشف عن فداحة الخطب،

(١) مصورة من مخطوط يملكه الأستاذ مصطفى الطاهري، نقلا عن: مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: د.عبد السلام الهراس، ص٩٢، ٩٣، مجلة المناهل، عدد(١٤) مارس١٩٧٩م، وزارة الشئون الثقافية بالمغرب.

وفظاعة الرزء، ومدى وقعه على نفس الشاعر المنكسرة، ويؤكد على وقعه الشديد على قلبه، ويشف عن تواؤم الألفاظ وتعانقها مع المعاني في الكشف عن تجربة الشاعر.

كما أن قافية التاء المكسورة تكشف عن حالة الانكسار المسيطرة على الشاعر، ويعطيه حرف اللين(الألف) قبلها فسحة لبث أحزانه وشكواه ومشاعره، وهي توحي بحالة الحزن الممض، ولواعج الأسى والألم على مصارع أهل البيت.

ويصور الشاعر جانبا من جوانب هذه الحادثة المؤلمة التي تئن لها قلوب المؤمنين، فيقول: (من الطويل)

أتنتهب الأيام أفلاذ أحمد وأفلاذ من عاداهم تتودد؟
ويضحي ويظمي أحمد وبناته وبنات زياد وردها لا يصرد؟
أفي دينه، في أمنه، في بلاده تضيق عليهم فسحة تتورد؟
وما الدين إلا دين جدهم الذي به أصدروا في العالمين وأوردوا[1]

لقد سيطر الولَه على الشاعر، فيتساءل مذهولا من هول الموقف، أيُفعلُ هذا بآل بيت رسول الله ويموت الحسين وآله ظمئا، ومن عاداهم يعيشون في رِي ورواء؟، ثم يربط الشاعر بين ما حدث في كربلاء للحسين وبين قرابته للرسول الكريم ليستميل قلوب المؤمنين، ويلفتهم لهول الموقف، فهذا الذي قتل شر قتلة وقطعت رأسه في كربلاء ومن معه من آله- من آل بيت النبوة، وجدهم هو رسول الإسلام، ولا ريب في فضلهم على الأمة، فعلى كل مؤمن يحب آل البيت أن يحزن لهؤلاء وأن يبكيهم ويذكر مصابهم.

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين، م١/ج٢/٤٧١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

والتصوير يكشف عن شدة الخطب، وأثر الجرح في نفس الشاعر، فالمقابلة بين(أفلاذ أحمد/أفلاذ من عاداهم)،(يظمي أحمد وبناته/بنات زياد وردها لا يصرد) تكشف عن عمق المأساة، وتوحي بشدة حزن الشاعر وتألمه لما حل بآل البيت، كما كان للطباق بين(أصدروا/أوردوا) دوره في إيقاظ المتلقي ولفته إلى أن من عذبوه ومنعوه الماء وقتلوه شر قتلة هو سبط نبي الإسلام الذي هداهم بإذن ربه إلى دينه، وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

ومن النماذج التي تصور خطر هذا الرزء وفداحته وشدته على النفس قول صفوان بن إدريس[(١)]:(من الطويل)

سَـــلاَمٌ كأَزهـــار الرُّبَـــى يُتَنَسّـــمُ عَلَـــى مَنـــزِلٍ منـــهُ الهُـــدَى يُـــتَعَلّمُ
عَلَـــى مَصـــرَعٍ لِلفـــاطِمِيِّينَ غُيِّبَـــت لأوجُهِهِـــم فِيـــهِ بُـــدُورٌ وَأَنجُـــمُ
عَلَـى مَشـهَدٍ لَـو كُنـت حَاضِرَ أَهلِـهِ لَعَايَنـــت أعضَـــاءَ النَّبِـــيِّ تُقَسَّـــمُ
عَلَـى كَـربَلا لا أَخلَـفَ الغَيـثُ كَـربَلا وَإلا فَـــإِنَّ الـــدَّمعَ أنـــدَى وَأكـــرَمُ[(٢)]

يستهل الشاعر مرثيته بالسلام الذي يفيح بالعبق الشذي على آل بيت النبوة، وتلك الوجوه الكريمة، المضيئة، التي غُيِّبت في رمال كربلاء، فروتها بدمائها الطاهرة، ويدعو الله–تعالى– أن يسقيها الغيث ويرويها في هذه الأرض

(١) أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي، من أهل مرسية، أديب جمع تجويد الشعر إلى تحبير النثر، له تصانيف دلت على علمه وأدبه، منها: زاد المسافر، ت ٥٩٨هـ. ينظر: تحفة القادم لابن الأبار، تحقيق:د.إحسان عباس، ص ١١٩، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.المُغرِب في حلى المغرب:ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: د.شوقي ضيف، ٢٦٠/٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م. نفح الطيب: ٦٢/٥. وغيرها.

(٢) أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، عمر قصير وعطاء غزيز: د.محمد بن شريفة، ص١٢٣، مطبعة النجاح، المغرب، الأولى١٤٢٠هـ–١٩٩٩م. وشعر صفوان بن إدريس: جمع ودراسة وتحقيق: د.هالة عمر إبراهيم، ص١٠٠، القاهرة، الأولى ٢٠١٢م.

القاحلة، فلا يخلف إكراما للدماء التي سقت أرضها. ثم يربط الشاعر بين تلك المصيبة الكبرى، وبين المعاهد المطهرة في مكة والمدينة لافتا الأنظار إلى مكانة الحسين وآل بيت النبوة:

مَصَارِعُ ضجَّت يَثْرِبٌ لِمُصَابِهَا وَنَاحَ عَلَيهِنَّ الحَطِيمُ وَزَمزَمُ
وَمَكَّةُ وَالأَستَارُ والرُّكنُ والصَّفَا وَمَوقِفُ جَمعٍ والمقَامُ المعظَّمُ
وَبِالحَجَرِ المَلثُومِ عُنوَانُ حَسرَةٍ أَلستَ تَرَاهُ وَهوَ أَسوَدُ أَسحَمُ؟!
وَرَوضَةُ مَولانَا النَّبِيّ مُحَمَّدٍ تَبَدَّى عَلَيهَا الثُّكلُ يَومَ تُخُرِّمُوا
وَمِنبره العُلوي وَالجِذعُ أَعوَلا عَلَيهِم عَوِيلاً بِالضَّمَائِرِ يُفهَمُ
وَلَو قَدرت تِلكَ الجَمَادَات قدرهم لَدُكَّ حِرَاءٌ وَاستُطِيرَ يلَملَمُ
وَمَا قَدرُ مَا تَبكِي البلادُ وَأهلُهَا لآلِ رَسُولِ اللَّهِ وَالرُّزءُ أَعظَمُ(١)

إن الشاعر يؤكد على خطر هذه الفادحة في بكاء المعاهد المقدسة وحزنها وتألمها، فقد ضجت المدينة وأهلها، وناح الحطيم وزمزم، وتأثر الركن والمقام ومكة وما بها من منازل ومعاهد مطهرة، حزنا على مقتل الحسين وآله، وهو تشخيص يكشف عن شدة الأمر، وخطر النازلة، وفداحة المصيبة التي حلت بآل البيت، ويضفي على النص الإثارة، ويبعث فيه الحياة.

إن اختيار اللفظة الموحية وما تشيعه من دلالات وظلال فنية له القدرة على الكشف عن تجربة الشاعر، والتعبير عن مشاعره:(مصرع، مشهد، مصارع، ضجت، لمصابها، ناح، حسرة، الثكل، أعولا، عويلا، تبكي البلاد، الرزء أعظم) وهي صياغة تكشف عن شدة النازلة وخطرها، كما أن تشخيص هذه الجمادات

(١) أديب الأندلس ص١٢٣، وشعر صفوان بن إدريس ص١٠٠، ١٠١. تخرموا: ماتوا وذهبوا. لسان العرب(خرم).

يكشف عن خطر الموقف وشدته، ومدى بشاعته، وأثره في النفوس، كما يوحي بتأثر الشاعر وتألمه لهذا المصاب العظيم الذي أصاب الأمة في آل بيت النبوة.

لقد كان مقتل الحسين هو الحادثة التي لا تساويها نازلة، والمصيبة التي هانت أمام شدتها المصائب، وقد جاء تصوير الشعراء لهذه النازلة وأثرها على الأمة تصويرا حيا، يكشف عن عمق المأساة، وشدتها على النفوس المؤمنة، وهو تصوير يوحي بانفعال الشعراء الصادق بما أصاب الحسين وآل بيت النبوة في كربلاء، وقد أمسوا في حالة سيئة، وموقف يؤثر في النفوس، ويهز المشاعر، ويثير الأحاسيس، ويصيب قلوب المؤمنين بالأسى والجزع(١).

ثانيا- التعبير عن الحزن والأسى والتوجع لما أصاب الحسين

بدت نزعة الحزن جلية في هذه القصائد، فلها وجود بيّن، وأثر بارز، وحركة واضحة تسري في أفكارها ومعانيها، بل في ألفاظها، حيث نجد حرارة الانفعال بالموقف وقوة الشعور، وعمق الإحساس بجلال هذا الخطْب وعظمته، ومدى تأثيره على النفس البشرية المؤمنة، إذ نجد الشعراء وقد عمدوا إلى صبغ صورهم وأسلوبهم بالآلام والأحزان لتفصح عن أسفهم وحزنهم على مقتل الحسين، فالحزن والأسى، والتألم، ومرارة الفقد صبغت تعبيرات الشاعر، وغلفت معانيه وأفكاره، ولفَّت صوره على مقتل هذا الرمز الإسلامي العزيز على قلب كل مؤمن. وأولى هذه البكائيات التي تثير في النفوس الحزن والألم والأسى والشجن، بكائية ابن أبي الخصال التي يستهلها بقوله:(من البسيط)

عرِّجْ على (الطّفِّ) إن فاتتكَ مكرمةً وأذرِ الدموعَ بها سحًّا وهتّانا
وابكِ الحسينَ ومن وافى منيَّته في (كربلاء) مضوا مثنىً ووحدانا

(١) ينظر نماذج أخرى: أديب الأندلس، ص٩٩، ١٤٢،١٤١، وشعر صفوان، ص١٣٢، ١٣٥-١٣٧، أبو العباس أحمد بن شكيل:ص٤٨، نفح الطيب:٥/٧٠.

يـا ليـتَ أنّـي جـريحُ الــطفِّ دونـهـمُ أهـينُ نفسًـا تفيـــدُ العـزَّ مـن هانـا
إنــي لأجعـل حـــزني فيهمـا ترفًـا يكــونُ للــذنبِ تكفيـــرا وغفرانــا[1]

إن هذا الاستهلال يوحي بأثر موت الحسين في نفس الشاعر، ويكشف عن عمق الأسى والحزن الذي سيطر عليه، وألهب جوانحه، وأقض مضجعه، وأفاض عبراته "سحا وهتانا"، وسيَّر بهجته حزنًا وألمًا على من مضوا في كربلاء "مثنى ووحدانا"، فلا تأبى نفسه إلا أن يحرضها على البكاء وإرسال الدموع الغزار،على الحسين ومن قتل معه من آل بيت النبوة.

وتكشف المفردة عن حزنه الشديد، وتألمه لما أصاب الحسين:(أذر الدموع، سحا وهتانا، وابك، يا ليت، أني جريح، أهين نفسا، حزني) وهي صياغة تكشف عن تألم الشاعر وجوانحه الملتهبة، فانبعثت عبراته وزفراته وأناته كاشفة عن ذلك. والشاعر يتمنى أن يكون هو الجريح دون الحسين ومن معه من آل بيت النبوة: "يا ليتَ أنّي جريحُ الطفِّ دونهمُ أهينُ نفسا"، مؤكدا على حزنه، وجوانحه الملتاعة، عسى أن يكون حزنه وأسفه سبيلا لغفران ذنوبه، وتكفيرا لما اقترف من سيئات.

وقد تكرر هذا المعنى لدى الشعراء في صور مختلفة، فالشاعر يتمنى أن يكون فداءً للحسين وآله. فهذا صفوان يكشف أنه لو حضر يوم كربلاء لحمد الحسين حضوره، ولدافع عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، يقول:(من الطويل)

وَلَــو انِّــي حَضَــرتُ بِكَــربَلاء إِذًا حَمِــدَ الحُسَــينُ بِهَــا مَنَــابِي
إِذًا لَسَــقَيتُ عَنــهُ السَّــيفَ رِيّــا وَلَـيسَ سِـوَى نَجيعِـي مِـن شَـرَابِ[2]

(١) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٢، ٩٣. الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين رضي الله عنه، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية. معجم البلدان: ياقوت الحموي ٣٦/٤، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٢) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٣.

وابن شكيل(١) يؤكد أنه لو شهد هذا اليوم لجاد بنفسه فداء للحسين، يقول:(من البسيط)

لَو كُنتُ شاهِدَ يَومِ الرَوعِ قُلتُ لَهُ لَشائِحُ القَومِ جَلدٌ دونَهُم شيحُ
وَلا اِختَضَبتُ أَمامَ الصَفِّ مِن جَسَدٍ جودًا بِنَفسي وَبَعضُ الجودِ مَربوحُ(٢)

ولا ينقطع حزن ابن أبي الخصال، بل تتواصل أنّاته وآهاته فيقول في مرثية أخرى تفيض أسى ولوعة:(من الخفيف)

لهفُ نفسي على الحسينِ ومن لي إن تقضّي حقوقَه عبراتي
يا جنوني برئتُ منك إذا لمْ تغرقي في بحورِها نظراتي
لهفُ نفسي على قتيلٍ يُعزى عنه خيرُ الآباءِ والأمَّهاتِ
أيّ عيشٍ يطيبُ بعدَ قتيلٍ ماتَ بالمرهفاتِ أيَّ مماتِ(٣)

إن الشاعر أثر فيه موت الحسين وما أصابه يوم كربلاء، وقد تشبعت تجربته بتلك المشاهد الأليمة التي استدعاها من مشاهد كربلاء، فترى الحزن وقد سيطر عليه، وترى المشاعر الحزينة حية تنبعث من وجدانه كاشفة عن حزنه وألمه. وتكرار عبارة(لهف نفسي)، والنداء في (يا جنوني)، والاستفهام في (أي عيش) تصوير يشف عن عمق الشعور، وصدق الإحساس، وقوة الانفعال

(١) أبو العباس أحمد بن يعيش بن علي بن شكيل الصدفي، من أهل شريش، أحد شعرائها الفحول، مع نزاهة ومروءة سابغة الذبول، له ديوان شعر، توفي٦٠٥هـ. ينظر. تحفة القادم ص١٤٠، المغرب:١/٣٠٤، ٣٠٥ ، كنز الكتاب ومنتخب الآداب لأبي إسحاق اليونسي، تحقيق: حياة قارة،١/٤٤١، المجمع الثقافي ابوظبي١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م.

(٢) أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: د. حياة قارة، ص٤٩، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، الأولى ١٩٩٨م.

(٣) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٣.

بالموقف، وصدق التجربة، كما يوحي بشدة النازلة وأثرها على نفس الشاعر.

ويصور ابن إدريس التجيبي حزنه على مقتل الحسين فيقول: (من الوافر)

إذا جادت دموعي في انتحاب فما دعوى الغمام في الانسكاب
وَحُقَّ لِيَ البُكَاءُ فَإِنَّ حُزنِي يُثيرُ الدَّمعَ فِي جَفنِ السّرَابِ
وَأَينَ لِيَ العَزَاءُ وَقَد تَرَدّى فَرَاشُ الصَّبرِ فِي نَارِ المُصَابِ
وَيَا عَينَيَّ إن لَم تَستَهِلا ثَكِلتُكُمَا إذًا بَينَ السِّحَابِ
عَلَى سِبطِ الرَّسُولِ عَلَى حُسَينٍ عَلَى نَجلِ الشَّهِيدِ أَبِي تُرَابِ(١)

إن هول هذا الخطب الفادح، وأثره المؤلم، أذكى في نفس الشاعر الحزن والألم والحسرة، وألهب جوانحه الملتاعة، فالحزن عاكف لا ينفك عنه، وحاله بين عَبْرَةٍ وزَفْرَة، وأَنّةٍ وحسرة، وتململُ واضطراب وتألم، قد أضعف الحزن عزائمه، ونكأ الألم قلبه، وقرح كبده، فالدموع واكفة، والأبصار حائرة، والنفس ضعيفة سيطر عليها الجزع، وشملها الأسى حزنا وألما على سبط الرسول "نجل الشهيد أبي تراب".

وتبدو صورة الحزن والألم، وما يتبع ذلك من أثر جسمي ونفسي واضحة جلية، وقد انعكست آثار تلك النزعة الحزينة على التعبير والتفكير والتصوير، إذ نجد الألفاظ والتراكيب التي تؤكد هذه النزعة، وتعبر عن حرارة الانفعال، وشدة الموقف، وتشف عن الحزن والألم المسيطر على الشاعر: (جادت دموعي، انتحاب، الانسكاب، حق لي البكاء، حزني، يثير الدمع، السراب، فراش الصبر، نار المصاب، ثكلتكما) وهي صياغة تكشف عن صدر ملتهب، ونفس ملتاعة، وحرقة في القلب لا تنطفئ، ودموع متسربة لا تنقطع، وقلق واضطراب، وألم

(١) أديب الأندلس ص٩٩، وشعر صفوان ص٣١، ٣٢. أبي تراب كنية لعلي-رضي الله عنه.

والتهاب لا يطفئه إلا الرضا والتسليم لأمر الله–تعالى– وقضائه، والصبر على هذه المصيبة احتسابا للأجر، يقول:(من الطويل)

وَلَكِنَّهَا أَقْدَارُ رَبِّي بِهَا قَضَى فَلا يَتَخَطَّى النَّقضُ مَا هُوَ يُبرِمُ
قضَى اللَّهُ أَن يَقضِي عَلَيهِم لِتَشقَى بِهِم تِلكَ العَبِيدُ وَتُنقَمُ(١)

وزفرات الشاعر وأناته على الحسين بدت واضحة في أكثر من قصيدة، يقول في بكائية أخرى: (من الطويل)

أقول لحزن في الحسين تأكَّدا تملك فؤادي متهما فيه منجدا
ولو غير هذا الحزن راح أو اغتدى لناديته قبل الوصول مرددا(٢)

ويقول في ثالثة: (من الطويل)

سأقضي عليه لوعة ومراثيا فأفني حياتي والبكا والقوافيا(٣)

وهي مراث تكشف عن أسفه وحزنه وتنبئ عن قلب مكلوم، وجوانح ملتاعة، ونفس ثائرة أسى وحزنا على ما حل بالحسين، وما أصابه في كربلاء.

إن النزعة الحزينة الصادقة، بدت واضحة لدى هؤلاء الشعراء، وأضحت تغلف القصيدة وتسيطر عليها وتلفها، فحزن الشعراء عليه حزنا طويلا بدا في مرثياتهم بكاء حارا يثير عاطفة الحزن في النفوس، وقد تكرر تحريض الشاعر عينه على البكاء في بكائهم الحسين تعبيرا عن الحزن والألم. فهذا ابن أبي الخصال يتساءل عن بقاء الدموع بعد مصرع الحسين يقول:(من الخفيف)

ما بقاءُ الدموعِ بعدَ حسينٍ فخُذي من صميمِ قلبي وهاتِ(٤)

(١) أديب الأندلس: ص١٢٤. شعر صفوان: ص ١٠٢.
(٢) أديب الأندلس: ص١٣٦. شعر صفوان: ص ١٣٠.
(٣) أديب الأندلس: ص١٤٤ . شعر صفوان: ص ١٤١.
(٤) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٣.

ويقول من أخرى: (من الطويل)

ويـا عبرتـي إن لـم تفيضـي علـيهم فنفسـي أسـخى بالحيـاة وأجـود(١)

وهذا ابن شكيل يحرضها على البكاء دمًا، يقول:(من البسيط)

يا عين جودي على قتل الحسين دمًا وابكـي جهـارا فـان الوجـد تصـريح(٢)

ويقول في أخرى:(من الكامل)

وابكـي علـى السـبطينِ بعد أبيهمـا حبًـا لجـدّهما الـرحيم الأرأفـا(٣)

هذه المعاني تكشف عن قلوب مكلومة، وجوانح ملتاعة، شفَّها الوجد والحزن لما أصاب الحسين، وتوحي بتألم الشعراء وحبهم لآل بيت النبوة، وعترته المطهرين، لقد تملك الحزن قلوبهم وأرواحهم، وسيطر عليهم، وبدا جليا في عباراتهم وألفاظهم، وكيف لا وهم يعبرون عن حزنهم على موت سبط النبي بحبهم للنبي–صلى الله عليه وسلم– وآل بيته، ويسجلون أشواقهم وحنينهم إليه، والنماذج كثيرة(٤) تؤكد غلبة الحزن والأسى والتوجع على الشعراء في بكائهم الحسين.

ثالثا - ذكر شمائل الحسين والإشادة بمحامده.

إن مكانة الحسين ومنزلته في نفوس الشعراء منزلة عظيمة سامية، والشاعر في تصويره حزنه وتألمه لما نزل بالحسين وأصاب آل بيته، يشيد به، ويمجده، ويعدد فضائله، ويبكي حسناته، وشمائله، معبرا عن مدى حزنه وأسفه لما حل به، مصورا أثر الفقد عليه وعلى الأمة كلها.

---

(١)الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: م١/ج٢/٤٧١.

(٢) أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص٤٩.

(٣) السابق ص ٦٦.

(٤) ينظر نماذج أخرى: أديب الأندلس،ص١١٦، ١٢٣، ١٣٦. وشعر صفوان، ص٨٤، ١٣٢. الاكتفاء: ٤٧٢/٢/١. أبو العباس أحمد بن شكيل، ص٤٨، ٤٩، ٦٦، ٦٧.

والإشادة بمآثر المتوفَّى، وذكر ما يتسم به من خصالٍ حسانٍ، ومحامد جليلة، مما يكثر في قصيدة الرثاء، وهو ما يعرف بتأبين الميت، "إذ كان من عادة العرب في الجاهلية أن يقفوا على قبر الميت فيذكروا مناقبه، ويعددوا فضائله، ويشهروا محامده، وشاع ذلك عندهم، ودار بينهم، وأصبح في سننهم وعاداتهم"(١). ومن النماذج الكاشفة عن ذلك قول ابن أبي الخصال مؤكدا على قدر الحسين ومنزلته، وأنه لا دم يكافئ دمه:(من الطويل)

وأيُّ دمٍ يُــوفِي دم ابــن محمــد حسين وأمسي وهو سبط موحد...
فـإن تجهـل الـدنيا عليـك وأهلهـا فإنــك فــي أهــل الســماء ممجــد
أبـوك شـفيع النـاس وهـو الـذي لـه مقـام كـريم فـي البريـة يحمـد(٢)

تكشف الأبيات عن قدر الحسين سبط رسول الله، فهو خاتم الأسباط، وأسوة المؤمنين، ومنزلته أعلى من أن يضاهيها منزلة، وكفاه شرفا أن جده هو شفيع الخلق، صاحب المقام الكريم عند ربه، والشاعر يشير الى قوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}(٣).

وقد كشف التصوير والتعبير عن منزلة الحسين، وأكدا على فضله، فالصياغة التعبيرية:(يوفي، سبط النبي، ممجد، أبوك شفيع الناس)، والاستفهام في قوله:(وأي دم)، والتقابل بين(فإن تجهل الدنيا عليك وأهلها/ فإنك في أهل السماء ممجد) كلها تؤكد على سموه وارتفاع منزلته، فهو سبط النبي، وسيد شباب أهل الجنة، وإن لم يعرف أهل الأرض قدره ومكانته، فمنزلته محفوظة عند ربه،

(١) الرثاء: د. شوقي ضيف، ص ٥٤، سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، الثالثة ١٩٧٩م.

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: ٤٧١/٢/١.

(٣) سورة الإسراء: الآية(٧٩).

وفي هذا ما يكشف عن قدر الحسين ومنزلته، ويوحي بحب الشاعر لآل البيت وعترة النبي–صلوات ربي عليه.

ثم يذكر الشاعر صحابة نبينا الكريم–صلى الله عليه وسلم– الذين قتلوا في سبيل الله، ونالوا شرف الشهادة، كجعفر عم الحسين، وجده حمزة، وعمر، وعثمان، وعلي،–رضوان الله عليهم أجمعين–يقول:

وهل كنت إلا مثل عمك جعفر قتيلا لكفار بذي العرش ألحدوا
وإلا كليث الله جدك حمزة وحربة وحشي إليه تسدد
وما منهم إلا غريق شهادة حياتهم موصولة حين تنفد
ومثل أبي حفص وعثمان بعده ومثل عليّ وهو للحق سيد
دماؤهم مسك ذكي وأجرهم على الله لا يحصى ولا يتحدد(١)

لقد نالوا جميعا الشهادة، وزكت دماؤهم، وأبى الله إلا أن يكون الحسين في ركْبهم، في منازل الشهداء، وهذا مما يبعث في نفس الكاتب التصبّر، ويحضها على الاحتساب، ويسرّي عن أمة محمد –عليه الصلاة والسلام، ويهون من هول الرزء، وشدة الحزن، ويخفف من آلام الفقد، ويبعث على التجلد بالسلوان، والتضرع بالتفويض والتسليم.

وإن كان ابن أبي الخصال عني بهذا الجانب المعنوي، ولفت الأنظار إلى منزلة الحسين من آل بيت رسول الله، وأنه في منزلة الشهداء، فابن شكيل ذكر شجاعة الحسين وبسالته في الوقوف ضد جند يزيد، لا يخشى الردى، مستبسلا لا يهاب عددهم وعدتهم. يقول: (من البسيط)

صَلّى الإلَهُ عَلى أَشلاءِ مُنجَدِلٍ (بِكَربَلاءَ) يُحَيّي رَوْحَهُ الروحُ
أَوفى عَلى مَعرَكِ الأَبطالِ مُحتَسِبًا لَيثٌ شِعاراهُ تَهليلٌ وَتَسبيحُ

(١) الاكتفاء : ٤٧١/٢/١.

يـا فارِسًـا هاشِـمِيًّا مـا أَضَـرَّ بِـهِ تَثاقُـلُ القَـومِ إِذ نـادَاهُمُ: روحـوا
طـاروا وَأَثبَـتَ فـي الهَيجـاءِ أَخمَصَـهُ صَـبرًا، وَكـانَ لَـهُ عَنهـا مَنـاديحُ
حَتّـى ثَـوى الفـارِسُ الحَجّـاجُ يَتبَعُـهُ مِن هاشِمِ الخَيرِ فُرسانٌ جَحاجيحُ(١)

لقد عزم الحسين على مواجهة جند يزيد مع علمه بأنه لا شك هالك، ومعه من آل بيته قلة قليلة لا تقوى على مواجهة هذا الجيش العرمرم، لكنه آثر الشهادة محتسبًا نفسه عند ربه، فداء للحق والعدل، متوكلا على ربه، متسلحًا بالتسبيح والتهليل والذكر.

وقد أدت المفردة دورها في الكشف عن صفات الحسين كفارس مغوار لا يشق له غبار في مجابهة أهل الباطل:(أوفي، معرك الأبطال، محتسبا، ليث، فارسا، أثبت في الهيجاء أخصمه) وهي تعبيرات تكشف عن ثباته على الحق، ومُضيّه بقدم ثابتة في طريقه، بعيد عن الانهزامية ولم يضرْه أن خذله أهل الكوفة، وتثاقلوا عن نصرته، فما زاده ذلك إلا ثباتا وإيمانا، كما يبدو من الطباق بين(طاروا/ وَأَثبَتَ)، إنها روح الصمود التي تسيطر عليه، وهي روح إيمانية نابعة من عقيدته الإسلامية الصحيحة، وإيمانه العميق بما يسعى من أجله، وقد أثارت هذه الروح في نفسه ثورة في وجه الباطل، وصمودا في مجابهة الطغاة، وجرأة في الدفاع عن الحق.

ويؤكد أبو بحر التجيبي على منزلة الحسين ومكانته، فيرى أن أي قتيل لا يوافي قدر الحسين، وكفاه فخرا وشرفا أن جده هو خاتم النبيين والمرسلين، كما أن أباه عليًا خاتم الخلفاء الراشدين، يقول:(من الرمل)

أَيُّ سِـبطٍ لَـو قُتِلـتُم عِنـدَهُ وُقُتِلـتُم كُلُّكـم مَـا انتَصـفَا

(١) أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص٤٨. جحاجيح: الْجَحْجَحُ: السَّيِّدُ السَّمْحُ، وَقِيلَ: السَّيِّدُ الْكَرِيمُ. لسان العرب(جحجح).

جَـــــدُّه لِلأَنبِيَـــــاءِ خَـــــاتِمٌ وَأَبُـــــوهُ خَـــــاتِمٌ لِلخُلَفَـــــا

لَـــيسَ يَحتَـــاجُ إِلَـــى تَســـمِيَةٍ إِن سَـكتْنا عَـن حُسَـينٍ عُرِفـا(١)

ويذكر ناهض الوادي آشي(٢) أن الحسين فرع كريم من أصل كريم،هو نبينا–صلى الله عليه وسلم–، فأكرم به من فرع وأصل، يقول:(من الكامل)

إيـــه حمامـــة خبرينـــي إننـــي أبكـي الحسـين، وأنـت مـا أبكـاك؟

أبكـــي قتيـــل الطـــف فـــرع نبينـــا أكـــرم بفـــرع للنبـــوة زاكـــي(٣)

إن شمائل الحسين ومحامده لا تنتهي، ويكفيه شرفا أنه سبط نبينا الكريم– صلى الله عليه وسلم– وريحانته، وابن خاتم الخلفاء الراشدين سيدنا عليّ، وابن فاطمة حبيبة رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة، وقد تغنى الشعراء بهذه المحامد في شعرهم، والنماذج كثيرة تكشف عن ذلك(٤).

رابعا- التعريض بقتلة الحسين وهجائهم

تعرض الشعراء في بكائهم الحسين لقاتليه بالسبّ أحيانًا، وباللعن أحيانًا أخرى، واتهموهم بالكفر، كما كالوا الهجاء والذم لبني أمية، ونالوا من يزيد بن معاوية، ولعنوه لعنًا كبيرا، وقد طغت فكرة الهجاء والذم لبني حرب على أفكار المرثية، فلم تخل قصيدة منها. فها هو ذا ابن أبي الخصال يذكر أنهم مالوا بفعلتهم هذى عن الهدى، ولم يرقبوا في آل النبي–صلى الله عليه وسلم–إلا ولا

(١)أديب الأندلس: ص١١٦، وشعر صفوان بن إدريس: ص٨٥. وقد جعلت المحققة وزن القصيدة من الكامل، وهو خطأ.

(٢) ناهض بن محمد الأندلسي الوادي آشي، من وادي آش ت٦١٥هـ. ينظر: نفح الطيب ٧٠/٥

(٣) نفح الطيب ٧٠/٥ .

(٤) ينظر نماذج أخري: أديب الأندلس ص١٤٤، وشعر صفوان بن إدريس ص١٤١، وشعر ابن جابر الأندلسي، صنعة: د. أحمد فوزي الهيب، ص٦٥، دار سعد الدين، دمشق،الأولى ١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م.

ذمة، ولم يذكروا أن القيامة لهم موعد، وفيه تُنشر عليهم صحائفهم، ويجدوا ما عملوا حاضرا، يقول:(من الطويل)

ولو حدثتْ عن (كربلاء) لأبصرتْ حسينًا فتاها وهو شلوٌّ مقدَّدُ
وثاني سبطي أحمدٍ جعجعتْ بهِ رعاةٌ جفاةٌ وهوَ في الأرضِ أوحد
ولم يرقبوا إلَّا لآلِ محمدٍ ولم يذكروا أن القيامةَ موعدُ
وإنَّ عليهم في الكتابِ مودَّةٌ بقرباهُ لا ينحاشُ عنها موحِّدُ
فيا سرعَ ما ارتدوا وصدّوا عن الهدى ومالوا عن البيتِ الذين به هُدوا(١)

إن مشهد الحسين بعد تعذيبه وذبحه يدمي الفؤاد، ويحرق الأكباد، يصوره الشاعر ببقايا لحم ممزق متفرق، يبس وجف وتمدد في العراء، في صحراء قاحلة شديدة الحر، وهي كناية تكشف عن سوء فعل القوم، وتوحي بشدة الرزء، وعمق الجرح، فهؤلاء لم يرقبوا إلا ولا ذمة في جده–صلى الله عليه وسلم– ولا أبيه– سيدنا علي–، ولم يذكروا أن القيامة موعد يفصل الله فيه بين عباده وهو خير الفاصلين، والمفردة تلح على سوء فعالهم وقبيح شأنهم:(رعاة، جفاة، لم يرقبوا، لم يذكروا، ارتدوا، صدوا عن الهدى، مالوا) وهي تعبيرات تكشف عن ظلمهم لأنفسهم وتجرئِهم على آل بيت رسول الله. ثم يؤكد الشاعر على ظلمهم وتنكبهم سبل الهدى، فيقول:

فيا أوجها شاهت وتاهت عن الهدى أهذا التحفي منكم والتودد؟
وتَرْتُم رسول الله في ذبح سبطه وبُؤتم بنار حرها ليس يبرد
فما لكم عند الشفيع شفاعة ولا لكم في كوثر الحوض مورد
لعمري لقد غادرتم كل مؤمن على مضضِ برح يقوم ويقعد(٢)

(١) الاكتفاء ١/ ٢/٤٧١، جعجعت به: حبسته وضيقت عليه.

(٢) السابق : ذات الصفحة.

إن مشاعر الحزن والألم التي ألمت بالشاعر تبدو واضحة من خلال تعبيراته القوية التي راح يقذفها في وجوه القوم: (فيا أوجها شاهت، تاهت عن الهدى، أهذا التحفي، وترتم رسول الله، في ذبح سبطه، بؤتم بنار، فما لكم شفاعة، ولا لكم مورد على الحوض) وهو تصوير يكشف عن الغيظ الذي بلغ بالشاعر مبلغا، ويوحي بسوء صنيعهم، وبغيهم، إذ لم يكتفوا بقتل الحسين بل جزوا رأسه الشريف إمعانا في التشفي وإظهارا لما كمُنَ في صدورهم تجاه الحسين وآل بيته، فعدلوا عن الحق، ومالوا عن القصد، وزادوا في البغض والحقد على آل بيت النبوة والعترة الطاهرة.

وإذا كان ابن الخصال أكد على ضلالهم وتنكبهم سبيل الهدى والرشاد بقتلهم الحسين– فابن إدريس ملأت هذه الفعلة الشنيعة قلبه حقدا وغلا على يزيد ومن والاه، فيقول معلنا:(من الوافر)

يَزيـدُ فَكـم يَزِيـدُ عَلَيـكَ حِقـدِي ... رُزِئـتَ الفَـوز مِـن حُسـنِ المَـآبِ

قَتَلـتُم سِـبطَهُ قَتـلَ الأَعَـادِي ... لَقَـد وُفِّقـتُمُ لِسِـوَى الصَّـوَابِ

وَسُـقتُم أَهلَـهُ سَـوقَ السَّـبَايَا ... أَهَـذَا مَـا قَـرَأتُم فِـي الكِتَـابِ؟

لَقَـد نشِـبَ الحُسَـينُ مِـنَ البَلايَـا ... مِـنَ الطُّلَقَـآءِ فِـي ظُفـرٍ وَنَـابِ(١)

لقد ساقوا آل بيت النبوة سوْق السبايا في ذلة ومهانة وصغار، والتصوير والتعبير يكشفان عن نفس الشاعر الغاضبة، فالكلمات:(حقدي،رزئت، قتلتم، وفقتم، وسقتم، سوق السبايا)، تكشف عن حنق الشاعر وغيظه، وتبرمه بما حدث للحسين من قتل وتعذيب، وتؤكد على عواطف الحقد والغل والكراهية في قلوب شانئيه، والتي دفعتهم إلى قتله في هذه الصورة المؤلمة الباعثة على الحزن والألم. والاستفهام:(أهذا ما قرأتم في الكتاب؟) يحمل معاني الإنكار والتوبيخ

(١) أديب الأندلس: ص٩٩، شعر صفوان بن إدريس: ص ١٣٤.

والتعجب، من فعل هؤلاء القوم الذين آمنوا بجد الحسين–عليه الصلاة والسلام– وقرؤوا الكتاب المنزل عليه، وهي صورة مؤلمة تبعث على الحزن والألم.

ويدعو ناهض عليهم بالويل والهلاك والخسران، ويرى أنّ يزيدَ في جهنم خالدا فيها، يقول: (من الكامل)

ويل لقوم غادروه مضرجا بدمائه نضوا صريع شكاك
متعفرا قد مزقت أشلاؤه فريا بكل مهند فتاك
أيزيد لو راعيت حرمة جده لم تقتنص ليث العرين الشاكي
أو كنت تصغي إذ نفرت بثغره قرعت صماخك أنه المسواك
أتروم ويك شفاعة من جده هيهات لا ومدبر الأفلاك
ولسوف تنبذ في جهنم خالدا ما الله شاء ولات حين فكاك(١)

تجرأ القوم–خابوا وخسروا–وعتو عتوا كبيرا، إذ غادروا الحسين ممرغا تحت نقع خيولهم، معفرا، مجندلا، نضوا، حتى طمست آثار النقع وجهه الشريف، وكاد لا يعرف، قد أثرت فيه حرارة الشمس، وقيظ الصحراء، وسخونة الرمال، وهو تصوير يكشف عن شدة حقدهم، وسوء فعالهم، تؤكده الصياغة:(مضرجا بدمائه، نضوا، صريع، متعفرا، مزقت أشلاؤه، فريا) فعليهم من الله ما يستحقون. وقوله:(بكل مهند فتاك) فيه إشارة إلى انعقاد نيّتهم على قتله شر قتلة دون تراخ أو تراجع، ودون مراعاة لقرابته من الرسول الكريم–صلى الله عليه وسلم–، وفيهم ابن سعد بن أبي وقاص، وغيره من أبناء الصحابة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن الشاعر بهذا التصوير الحي المؤلم المؤثر في النفوس يشد المتلقي ليقف على شناعة الفعل وبشاعته، والوحشية التي قتلوا بها الحسين، ومدى الحقد

(١) نفح الطيب: ٥/٧٠، ٧١.

المتمكن من قلوبهم، وهم المسلمون الذين آمنوا بالله ربا، وبجده نبيا ورسولا، وبالإسلام دينا، ولم يشف غليل الشاعر وتهدأ ثورته إلا أن يذكّر يزيد بحرمة جده –صلى الله عليه وسلم–، مؤكدا على بعده من شفاعته، وأن مآله جهنم خالدا فيها وبئس المصير.

وتصوير الشعراء الحسين بعد موته بدا واضحا في مراثي الشعراء ومنه قول صفوان: (من الطويل)

إلى الله من عبد بسيده بغى فغادره تحت العَجاج ممرغا(١)

وقول ابن شكيل: (من البسيط)

صَلّى الإلَهُ عَلى أَشلاءِ مُنجَدِلٍ بِكَربَلاءَ يُحَيّي رَوحَهُ الروحُ(٢)

إن هذا الشعر ينبئ عن عاطفة صادقة، تيمها الحب، وشفّها الوجد، تنوعت بين الغضب والسخط والثورة والبغض لكل من لطخت يده بدم الحسين الطاهر، وكل من أعان على قتله في صياغة متقنة، ومعان قوية، وعاطفة غاضبة ثائرة، جاءت كالصاعقة تشد على يد الجناة، وتحملهم على الإقرار بالذنب والأسف والندم على ما فعلوه بحق سبط النبي–صلى الله عليه وسلم–وريحانته(٣).

خامسا- التوسل بالحسين وآل بيت النبوة.

توسل الشعراء ببكائهم سبط النبي–صلى الله عليه وسلم– إلى ربهم رجاء عفوه ومغفرته، متخذين من ذلك سبيلا لمغفرة ذنوبهم وعفو ربهم، وشفاعة نبيهم.

---

(١) أديب الأندلس ص ١٣٧. شعر صفوان ص١٣٣.

(٢)أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص٤٨.

(٣) لم تخل مرثية من المراثي الحسينية من هجاء قتلة الحسين والتعريض بهم وتوعدهم. ينظر نماذج أخرى:أديب الأندلس، ص٩٩ ،١٢٤،١١٦، ١٠٠، ١٣٦، وشعر صفوان ص٣٣، ٨٤، ٨٥، ١٠٢، ١٣٢ ،١٣٣، ١٣٧. أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٤٨، ٤٩، ٦٦، ٦٧.

والتوسّل من الجوانب النفسية المهمة التي تكشف لنا عن نزعة الشاعر الدينية، فهو يؤكد على حبه لآل البيت، وتعلقه بكل من يقربه إلى ربه رجاء عفوه، ويكشف عن صدقه، يؤيد ذلك خلو رجائه وتوسله مما يتعلق بالدنيا وزينتها. ومن نماذج التوسل قول صفوان بن إدريس، يتوسل ببكائه الحسين إلى الله –تعالى– عسى أن يحظى بشفاعة سيدنا محمد، يقول(من الوافر)

أَمَـــولايَ الحُسَـــين نِـــدَاءَ عَبـــدٍ عَظِـــيم الحُـــزنِ فِيـــكَ وَالانتِحَـــابِ
مَنَحتُـــكَ مِـــن بَنَـــاتِ الفِكـــر بِكـــرًا أَطَـــارَ شَـــرَارَهَا زَنـــدُ اكتِئَـــابِي
عَسَـــى الـــرَّحمَنُ يَقبَلُهَـــا فَتُضـــحِي شَـــفَاعَةُ أَحمَـــد عَنهَـــا ثَـــوَابِي(١)

يتوسل الشاعر بقصيدته وقد التهبت جوانحه حزنا على الحسين، وانتحب قلبه ألما لما أصابه، عسى أن تكون شفاعة له عند ربه، وأن يفوز بعفوه ومغفرته، ويسعد بشفاعة جده يوم القيامة، ويبدو الانكسار النفسي والضعف والتمني واضحا في تعابير الشاعر: (نداء عبد، عظيم الحزن فيك، منحتك، شرارها زند اكتئابي، عسى) وهي صياغة تكشف عن حزنه وانكساره، ورجائه شفاعته–صلى الله عليه وسلم.

وهذا ابن شكيل يؤكد على طربه وبهجته بذكر الرسول وآله، ويحض على الصلاة والسلام عليه، ويسأل الله تعالى أن لا يصرفه عن حبه لهم وتعلقه بهم، يقول: (من الكامل)

إيهًـــا حَـــديثًا عَـــن فُـــؤادي إِنَّـــهُ ذَكَـــرَ الرَســـولَ وَآلَـــهُ فَتَشَـــوَّفا
مـــالي طَرِبـــتُ بِـــذكرِهِم فَكَـــأَنَّني عـــاقَرتُ مِـــن ذِكـــرِ الأَحِبَّـــةِ قَرقَفـــا
أَقِـــمِ الصَـــلاةَ عَلـــى النَبِـــيِّ فَإِنَّهـــا تَـــذَرُ الـــذُنوبَ الشُـــمَّ قاعًـــا صَفصَـــفا
يـــا رَبِّ إِنّـــي قَـــد أَنِســـتُ بِحُـــبِّهِم فَـــاجعَلهُم لِـــيَ عَـــن سِـــواهُم مَصـــرِفا(٢)

(١) أديب الأندلس، ص١٠٠، وشعر صفوان ص٣٤.

(٢) أبو العباس أحمد بن شكيل: ص ٦٨.

والشاعر يؤكد على مشاعره المفعمة بحب رسول الله وآل بيته، ويحض على الصلاة عليه، فهي كفيلة بمحو الذنوب، وتطهير النفوس مما علق بها من درن المعصية. كما يتوسل ابن جابر بالحسن والحسين، وبجدهما–صلى الله عليه وسلم–في يوم الحشر، فيقول: (من الطويل)

وبالحسنين السيدين توسلي بجدهما في الحشر عند تفردي
هما قرتا عين الرسول وسيدا شباب الورى في جنة الخلد في غد..
فيا رب فرج كل ضيق بمدحهم ووفق لما يُرضي الرسول وأرشِدِ
وحاشاهم أني أصوغ ثناءهم ولم يشفعوا لي في الذي قد جنتْ يدي
وإني لأرجو أنني معهم غدا وأن لست عنهم في الجنان بمبعد
على المصطفى والآل والصحب صلاة متى يبلَ الزمانُ تُجدّدِ(١)

فهو يتخذ من مديح الحسين وآل بيت رسول الله سبيلا لمغفرة ذنوبه، وطريقا لشفاعة نبينا الكريم–صلى الله عليه وسلم–عسى الله أن يفرج كربه، ويغفر ذنبه، وأن يكون معهم في جنان الخلد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلم سليم.

إن توسل الشعراء بحزنهم على الحسين رجاء شفاعة نبينا الكريم–عليه الصلاة والسلام– تسيطر عليه نغمة حزينة، ويلفه الأسى في وسيلة التعبير عنه، وقد حرصوا على إبرازه، بوصفه عنصرا رئيسًا من عناصر التأثير في المتلقي؛ حيث يستدر الشاعر استعطافه وتفاعله معه، ليشاركه معاناته النفسية، كما يكشف التوسل عن حب الشعراء الصادق للحسين وآل بيت النبي–صلى الله عليه وسلم–، ويؤكد على إيمانهم بمكانته عند ربه، وتعلقهم به. وقد بدا واضحا تأجج الشوق في نفوس هؤلاء الشعراء وهم يرثون سبط نبينا–صلى الله عليه وسلم– إذ

(١) شعر ابن جابر الأندلسي، ص٦٤، ٦٦ .

تميزت أشعارهم بسمو العاطفة، والحنين الآسر، والشوق الجارف الذي يكشف لنا بوضوح عن بلوغهم أعلى درجات الحب الصادق للحسين، ولآل بيت النبوة المطهرين.

المبحث الثاني :الصياغة التعبيرية

على الشاعر أن يتخير من الألفاظ ما يفي بغرضه في نقل تجربته الشعرية، ويناسب حالته الشعورية، ويعينه على تصوير مشاعره وأحاسيسه، فينأى عن التعبير المباشر، بحيث يتخطى المعنى المعجمي للكلمة إلى ما تشعه من ظلال وإيحاءات ودلالات تتميز بها لغته الشعرية، وتقوي الفكرة وترسخها، حتى يتهيأ لشعره التأثير والانفعال المطلوب.

والمتأمل هذه القصائد التي بكت الحسين يجد الشعراء عبروا عن تجربتهم في قالب أدبي أخاذ، ينبئ عن انفعال حقيقي، وإحساس حي بالموقف، وقد استعانوا بالوسائل المنوّعة، وأنماط التصوير المختلفة التي أعانتهم في نقل تجربتهم، وما يختلج في صدورهم من مشاعر وأحاسيس، والبوح بما في نفوسهم من أفكار ومعان.

أولا: المعجم الشعري

هذه المراثي تحوي ألفاظا وعبارات وتراكيب منوعة تتواءم مع حالة الشاعر النفسية، وتتسق مع تجربته الشعرية؛ فنجد **شيوع مفردات الحزن والتألم والبكاء والنحيب والأسى** ومنها:(الدموع، الانتحاب، البكاء، الحزن، الجفن، الرزء،العزاء، الصبر، المصاب، الثكل، مصرع، الحسرة، النواح، الجوانح، الندب، لهفُ نفسي، العبرات،كربا سقيما، زفرة، شوقا، لوعة)،وغيرها من الألفاظ التي تكشف عن حزن الشاعر وتألمه لما أصاب الحسين، فالحزن والأسى، والتألم غلفت تعبيرات الشعراء حتى لتشعر بحزنهم وتألمهم من خلالها، وفي هذا ما يوحي بصدق مشاعرهم.

كما برزت الألفاظ التي تكشف عن القتل وآثاره، ومنها:(قتيل الطف، جريحُ الطفِّ، القتل، المصرع، مضرجا بدمائه، مزقت أشلاؤه، أشلاء منجدل،الضرب، السفك، سفكتم، قتلتم، الدم، نضوا، صريعا، متعفرا، مصارع، الشهيد)...الخ. وهي مفردات تنبئ بخطر الموقف وشدته، ومدى بشاعته، وتوحي بأثره في النفوس، وتكشف عن سوء فعال القوم، وخبث نواياهم، وتمكن الحقد من قلوبهم، كما ترسم صورة مصرع الحسين في الصحراء القاحلة، وهي صورة مؤلمة تصدع القلوب، وتحرق الأكباد، وتلهب جوانح المؤمنين ومحبي آل بيت النبوة.

وشاعت الألفاظ التي تدل على قدر الحسين ومكانته من رسول الله، وتكشف عن شجاعته:(سبط النبي، شبيه الرسول، فلذة أحمد، ابن النبي، ابن محمد، خاتم الأسباط، نجل الشهيد، الفارس، ليث، الصابر، الحازم) وغيرها من الألفاظ والعبارات التي تكشف عن مكانة الحسين، ومنزلته في نفوس الشعراء وهي منزلة عظيمة سامية، صوروها في براعة واضحة فأشادوا بقرابته من النبي الكريم–صلى الله عليه وسلم–، وتغنوا بشمائله ومحامده معبرين عن مدى حزنهم وأسفهم لما حل به، مصورين أثر مصرعه عليهم وعلى الأمة كلها.

كما برزتْ المفردات والعبارات التي تبين موقف الشعراء من قتلة الحسين وبني حرب،ومنها:(أمة الطغيان، بني حرب، جفوتم، قتلتم، طفتم، بئس الطواف، نجل الدعي، الدعيين،عادى الرسول،ابن حرب،ضلت حلومهم، رعاة جفاة، صدوا عن الهدى)وهي تعبيرات تكشف عن بغضهم لبني أمية ومن ساهم في مقتل الحسين، وتؤكد على بغيهم وطغيانهم، وسوء صنيعهم، وتحمل الهجاء والذم لهم.

كما وجدتُ ألفاظا ترتبط بالمعاهد المطهرة في مكة والمدينة، ومنها:(معالم مكة، مكة، يثرب، الحجيج، الحِجْر، والحَجَر، الحطيم وزمزم، عرفات، المسعى، مقام إبراهيم، البيت ذو الأستار، الركن، المقام، الصفا والمروة)وغيرها، والشاعر يتخذ منها سبيلا للربط بين قدسيتها وقدسية الحسين وآل البيت، وقد أنطقها وأسقط عليها مشاعره، فهي تئن وتحزن على مقتل الحسين وتبكيه وتندبه، وفي

هذا ما يوحي بشدة الخطب، وأثر هذا المصاب الذي أصاب الأمة في آل بيت النبوة.

والمتأمل معجم الشعراء في مراثي الحسين يظهر له سهولة الألفاظ ووضوحها، وبعدها عن الغموض، ومع سهولتها فهي قوية، سليمة، غير مبتذلة، وتكشف عن شدة النازلة، وفداحة الرزء، وأثر وقوعه على النفس، وتؤكد على حزن الشعراء، وتألمهم لمصرع الحسين وآل بيته. والسبب في رقة الألفاظ وسهولتها يرجع إلى طبيعة الموضوع، فالرثاء يدور حول تصوير أثر الرزء ووقع المصيبة، والتعبير عن الحزن والأسى والتوجع، كما يدور حول تعداد شمائل المتوفى وتكرار محامده وفضائله والإشادة بحسناته، وذكر الموت، والتحلي بالصبر، والرضا بقضاء الله تعالى، وهذا كله لا يستدعي ألفاظا معقدة أو أساليب ملتوية، والشاعر في هذا المقام لا يجد أمامه إلا أن يعبر عما في نفسه، وما تمور به أحاسيسه بألفاظ وعبارات واضحة، تتواءم ومقام الرثاء. وقد مرت بنا النماذج الكاشفة لذلك، ولا داعي لتكرارها.

ثانيا- المعاني

هذه البكائيات تدور حول عدة معان تشملها جميعا، إذ نجد الشعراء يدورون حولها، وتتغير ألفاظهم، وتتنوع تجاربهم ولا يبتعدون عنها، وهي تتلخص فيما يلي:

أ- نزعة الحزن البادية في القصيدة من أولها إلى آخرها، والتي تكشف عن حب الشعراء لآل بيت النبي الكريم-صلوات الله عليه- وحزنهم وأسفهم على مقتل سبطه، ومن معه من آل البيت.

ب- تصوير الشعراء للمأساة تصويرا حيا، يكشف عظم الجرم، وشدة الرزء، وخطر المصيبة، ويبرهن على سوء ما فعله قتلة الحسين، ومدى الحقد المسيطر على قلوبهم نحو سبط النبي-صلى الله عليه وسلم- وآل بيته.

ج- التعريض بقتلة الحسين وهجائهم وتوعدهم، والتأكيد على غيّهم وضلالهم، والكشف عن سوء صنيعهم، وتبشيرهم بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، وإظهار الشعراء لغضبهم وحنقهم عليهم.

د- التغني بفضائل الحسين والإشادة بمحامده ومآثره، فهو سبط النبي-صلى الله عليه وسلم-، وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، وعترة آل بيت النبوة.

هـ- توسُّل الشعراء ببكائهم الحسين ورثائهم له أن يغفر الله ذنوبهم وينالوا شفاعة جده-عليه الصلاة والسلام-وذكرهم آل بيت النبوة بما هم أهله.

هذه المعاني ليست تحديدا لما تشتمل عليه كل قصيدة، وإنما تسجيل لمحاور أساسية، ومعاني شاملة تدور حولها هذه القصائد، فلا ندَّعي أنها معاني تفصيلية تتسع لتفصيل الموقف أو شرح التجربة، مع اختلاف الشعراء في الإحاطة بها، والوقوف عليها، وتنوع زوايا الرؤية فيها.

وقد اتسمت المعاني في هذه المراثي بسمات عامة تميزت بها، منها:

١- استقامة المعنى ووضوحه: يكون المعنى واضحا حين يصل إلى الأفهام من أقرب سبيل، وأسهل طريق دون كد أو تعب، ومن غير التواء ولا غموض، فلا يجبر المتلقي على البحث والتفتيش والعناء حتى يصل إلى المعنى الذي أراده الشاعر.

والمعاني في هذه المراثي جاءت واضحة مستقيمة، لا تحتاج إلى عناء في فهمها، والوقوف على ما يرمي إليه الشاعر من ورائها، فكما جاءت الألفاظ رقيقة سهلة، جاءت المعاني واضحة مستقيمة، وفي هذا ما يؤكد ارتباط اللفظ بالمعنى في هذه المراثي، وإذا ما التحم اللفظ بالمعنى كان الترابط والتماسك هو سمات

العمل الفني. يقول ابن رشيق: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته"(١).

إن وضوح الرؤية في نفس الشاعر وعدم الحاجة إلى الالتواء والغموض في التعبير عن التجربة، وتركيزه على العرض الصريح الكاشف، والإلحاح على المعاني القريبة–هذا كله جعل المعاني قريبة بعيدة عن الغموض، وذلك راجع إلا أن التجربة فرضت على الشعراء الوضوح، فالشاعر يبكي رمزا من رموز الإسلام، وعلما من أعلام بيت النبوة، لذا جاء تعبيره عن تجربته في وضوح وسمو، ونكتفي بنموذج واحد يكشف عن ذلك، يقول ابن أبي الخصال: (من البسيط)

لله عينٌ بكتْ أبنـــــاءَ فاطمةٍ ... ترى البكـــا لهمُ تقوىً وإيمانا
ما سرَّني ببكـــائي ملكُ قاتلهمْ ... ومثله معه لـــــو صحَّ أو كانا
آليتُ باللهِ لا أنسى مصـــائبهمْ ... حتى أضمَّنَ أطبـــــاقا وأكفانا
فيا محمد قمْ للهِ معتـــــرفا ... فإنَّ ربَّكَ قد أولاكَ إحســـــانا
لم يفرغ الله في جنبيـــكَ حبَّهمُ ... إلا لتلقى به فـــوزا ورضوانا(٢)

فالمعاني واضحة مستقيمة، بادية للمتلقي، لا يحجبها غيم أو التواء في الأسلوب، كاشفة عن حزن الشاعر وتألمه لما أصاب الحسين وآله في كربلاء، والمفردة تنقل للمتلقي المعنى الذي أراد الشاعر التعبير عنه على نحو من الوضوح وصفاء الرؤيا، وهو بث أشواقه وأحزانه المتأججة في قلبه، والتعبير عما

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي الحسن علي بن رشيق، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ١/١٢٤، دار الجيل ، القاهرة ، الخامسة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
(٢) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٣ .

يعتلج في صدره، ويموج بخاطره وإثبات حبه للحسين وآله، فلو أوتي ملك بني أمية ومثله معه لما كف عن بكائهم.

٢- **تآلف المعاني وترابطها**: إن متأمل هذه البكائيات يجد تواؤمًا وتناسبًا بين أفكارها ومعانيها، وترابطًا واضحا بين أجزائها، فهي تشملها وحدة موضوعية مترابطة، إذ يلفها رابط واحد يهيمن عليها من أولها إلى آخرها هو الحزن والألم، والأسى والشجن من أثر هذا الخطب الذي يدمي القلوب، ويلهب الأكباد، فمقتل سبط رسول الله وقع شديد على النفس، وإحساس الشاعر بوقْعِهِ الأليم على نفسه وحبه لآل البيت هو الذي دفعه إلى بكائه ورثائه، وذكر محامده، والإشادة بنسبه الشريف، وخلقه العفيف، يعضده ويذكيه حزن ملتهب في أعماقه، وحرقة تثور في قلبه، وجوانح ملتاعة، ونفس متألمة لما لاقاه في كربلاء من جند يزيد.

إنني أجد تصوير الشعراء لمصرع الحسين وأثر هذا المصاب الجسيم في نفوسهم، والتعبير عن أسفهم وحزنهم وتألمهم، ثم حديثهم عن مناقبه ومحامده وذكر نسبه الشريف، يتبع ذلك هجاء قتلة الحسين وتوعدهم وتبشيرهم بعذاب جهنم، ودعوة إلى الصبر والتسليم والرضا بقضاء الله–تعالى– وقدره، ثم رجاء الشاعر أن يكون بكاء الحسين وسيلة لعفو ربه، وشفاعة نبيه. فنجد أن الأفكار والمعاني متحدة متوائمة، والجو العام في القصيدة متماسك مترابط، يشمله جو إيماني، ويلفه حزن عميق، ويذكيه شوق ملتهب، وتألم واضح، وإحساس صادق بوقع هذه المصيبة على النفس.

كذلك اتسمت هذه القصائد بالتواؤم العام والتآلف الشامل مع الجو النفسي الذي يحياه الشعراء وهم يعبرون عن حزنهم وأسفهم تجاه سبط نبيهم، معبرين عن حبهم له ولآل البيت الكرام؛ هذا الجو النفسي الذي يعيشه الشاعر يتسم برهافة الحس، ورقة الشعور، وصدق الإحساس، والمشاركة الوجدانية الصادقة، وهو يلف القصيدة من أولها إلى آخرها، لذا جاءت هذه القصائد بمعانيها، وأفكارها،

وموضوعاتها، تتشح بنزعة إيمانية صادقة، متوائمة مع ذلك الجو النفسي الذي يعيشه الشاعر في بكائه الحسين، ملتحمة به، مفضية في النهاية إلى تعانق الأفكار مع المعاني، وتآزر الشكل مع المضمون، معبرة عن إحساس الشاعر النفسي، كاشفة عن صدقه في عاطفته أيما صدق، والسمو بالتجربة إلى أعلى درجاتها الفنية.

ثالثا- من أساليب التعبير

استعان الشاعر بأساليب اللغة المختلفة التي وظفها لتكوّن أسلوبه الخاص في الكشف عن تجربته، والتعبير عما يختلج في نفسه من انفعالات وتصورات، وما يجيش في صدوره من مشاعر وأحاسيس. ومنها:

أ- الاستفهام: هو وسيلة من وسائل التعبير المهمة، يتخذها الشاعر سبيلا لتثبيت الفكرة، وتلوينًا لطرق الأداء في التعبير عنها، ولها دورها في إثارة الحركة في النص، وإيقاظ المتلقي، وتجعله يتشارك مع الشاعر تجربته.وقد استعان به الشعراء في التعبير عن حزنهم وتألمهم والكشف عن تلك المأساة، ومن ذلك قول ابن أبي الخصال:

ما بقاءُ الدموعِ بعدَ حسينٍ؟ فخُذي من صميمِ قلبي وهاتِ
أتكونُ الدموعُ فيه وفي النا سِ سواءٌ؟ كلا وهادي الهداةِ(١)

يتساءل الشاعر عن بقاء الدموع بعد مقتل الحسين ليكون حافزا له على الصبر والعزاء، والرضا والسلوان، فالحزن عليه لا يماثله حزن، وإذا لم يزرف الدموع الغزار على ريحانة رسول الله فعلى من تسيل. والاستفهام هنا بـ (ما) والهمزة له دوره الواضح في تفخيم الرزء، والتأكيد على فداحته وشدته، وأثره في

(١) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٣.

النفوس، ويوحي بتأثر الشاعر وتألمه، وقد جاء كاشفا للمعنى، مرسخا للفكرة. وتتوالى الاستفهامات في قول صفوان مخاطبا يوم الطف:(من الوافر)

أيـــوم الطـــف لا بوركـــت يومـــا جعلـــت الأســـد نهبـــا للكـــلاب...
ألـــم تلحقهـــم فتـــزود عـــنهم وتحصـب مـن رمـاهم بالهضـاب؟..
عَـــلامَ تَرَكـــتَ نُـــورَ اللهِ يُطفَـــى غَـــدَاتكَ بِالمُهَنّـــدَةِ العِضَـــابِ؟
ألـم تقـدر–ثكلـت–علـى انتصـار فتقـذفهم بشمسـك مـن شـهاب؟(١)

الاستفهام بـ(الهمزة) في قوله:(ألم) والذي تكرر مرتين من شأنه أن يقرع آذان المتلقي فيوقظه ويشده ليتفاعل مع الشاعر في تجربته، كما يضفي على النص الحركة والحيوية، والشاعر ينكر على هذا اليوم تقاعسه عن نصرة الحسين والزود عنه، فيمطر نارا تحرق جند يزيد أو تقذفهم بحجارة تقتلهم بها، وهو استفهام يؤكد على انفعال الشاعر وغضبه الشديد، وينبئ عن ثورة عارمة مشتعلة بقلبه وجوانحه حزنا على حسين. ومنه قول ابن شكيل:(من الكامل)

يا لَيتَ شِعري كَيفَ كانَ عَلى العَصا؟ رَأسُ الحُسَينِ وَنورُهُ كَيفَ انطَفا؟
أَم كَيفَ تُفرَعُ بِالقَضيبِ ثَنِيَّةً كانَت مَلاذا لِلنَبِيِّ وَمَرشِفا؟(٢)

والاستفهام هنا يشف عن معاني الدهشة، والحيرة، والاستغراب، والتردد النابعة من هول الموقف، وخطر النازلة، فالشاعر مذهول لما أصاب الحسين، لذا كرر أداة الاستفهام (كيف) ثلاث مرات، وكأنه لا يصدق، فكيف كان على العصا؟ وكيف انطفأ هذا النور النبوي؟ وهو يكشف عن تأثره وذهوله من شدة وقع المصاب على نفسه، كما يؤكد على فداحته وشدته، ويضفى على الأبيات

(١) أديب الأندلس: ص٩٩. شعر صفوان ص ٣٢، ٣٣.
(٢)أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص٦٧ .

نوعا من الحركة والحيوية، ونماذج الاستفهام كثيرة(١)؛ تؤكد لجوء الشعراء إليه في التعبير عن حزنهم وأساهم.

ب- النداء: كما استعان الشعراء بالنداء في التعبير عن تجربتهم، والكشف عن حزنهم وتألمهم لما أصاب الحسين، وهو من الأساليب التي تساعد على إبراز المعنى وتوضيحه، وتشد انتباه المتلقي، ومن نماذجه قول الشاعر: (من الطويل)

فيا كبدي إن أنت لم تتصدعي فأنت من الصفوان أقسى وأجلد

ويا عبرتي إن لم تفيضي عليهم فنفسي أسخى بالحياة

استعان الشاعر بالنداء وأداته (يا) مرتين، متوجها بالخطاب إلى نفسه، مخاطبا كبده التي تصدعت من شدة الحزن إن لم تذب حزنا وألما وحرقة على الحسين فهي أقسى من الصفوان، ويخاطب عبراته التي فاضت سحًا وهتانًا إن لم تفض وتسيل فنفسه فداء للحسين شوقا وحبا وحنينا. والنداء هنا يوحي بتأثر الشاعر الواضح، وحزنه لذا خاطب كبده ليؤكد سيطرة الحزن والألم، وأن حزنه لا ينقطع، وناره لا تنطفئ، وجرحه لا يندمل. ومنه قول ابن شكيل محرضا عينه على البكاء حزنا على الحسين:(من البسيط)

يا عَينُ جودي عَلى قَتلِ الحُسَينِ وَأَبكي جَهارًا فَإِنَّ الوَجدَ تَصريحُ

وَيا لِساني عاوِدِ مَدحَهُ أَبَدا وَإِنَّ أَيسَرَ ما فيهِ الأَماديحُ(٣)

(١) ينظر نماذج أخرى للاستفهام: أديب الأندلس: ص٩٩، ١١٦، ١٢٤. وشعر صفوان: ص٨٤، ٨٥. أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٤٧. الاكتفاء١/٢/٤٧٢. نفح الطيب:٥/٧٠.

(٢) الاكتفاء١/٢/٤٧١.

(٣) أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص٤٩ .

إن النداء بـ(يا) هنا يوحي بالاستغاثة والاستصراخ، والندب، وهو يجعل من عينه ولسانه شخصين يخاطبهما، محرضا عينه على البكاء دما، والبكاء جهارا على مقتل الحسين، مشددا على لسانه أن لا يفتر من مدحه الحسين، وذكر شمائله، هذا النداء يعبر عن ألم الشاعر وحزنه، ويؤكد ارتباطه به وحبه له، ويوحي بحزن دائم مسيطر على نفسه جعله يحرض عينه على البكاء دما، بكاء لا ينقطع(١).

ج- الأمـــر: كما شاع أسلوب الأمر في هذه البكائيات، ومنه قول ابن أبي الخصال:

عرِّجْ على الطفِّ إن فاتتكَ مكرمةً وإذرِ الدمـــــوعَ بهـــا ســـحًّا وهتّانـــا

وابكِ الحسيـــنَ ومن وافى منيَّته فـي (كربلاء) مضوا مثنـىً ووحدانا(٢)

فالشاعر يغلبه الحزن ويسيطر عليه الأسى، فيدعو نفسه–أو غيره– إلى أن يتذكر مصرع الحسين في كربلاء، ليذرف بها الدموع الغزار أسى وحزنا عليه، وأن يبكيه هو ومن معه من آل بيته في كربلاء. إن أفعال الأمر:(عرج، وأذر، وابك) تكشف عن انشغال الشاعر بهذا المصاب الجلل، وتشف عن حزنه وأساه، وتؤكد على شعور قوي، وإحساس صادق مؤثر، كما تشف عن خطر النازلة وشدتها على النفس. ومنه قول صفوان:

انـدُبِ الطّـفَّ وَسِـبطَ المُصـطَفَى بِمـــرَاثٍ هِـــيَ أَســـرَى مِـــن قفَـــا[٣]

وقوله:

قِفُـوا سَـاعِدُونَا بِالـدُّمُوعِ فَإِنَّهَـا لَتَصـغُرُ فِـي حَـقِّ الحُسَـينِ وَيَعظُـمُ

(١) ينظر نماذج أخرى: أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٤٧ ، ٤٨. أديب الأندلس: ص١١٦، وشعر صفوان: ص٨٥، نفح الطيب ٥/٧٠.

(٢) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٢.

(٣) أديب الأندلس: ص١١٦. شعر صفوان: ص ٨٤.

وَمَهمَا سَمِعتُم فِي الحُسَينِ مَرَاثِيا تُعَبِّرُ عَن مَحضِ الأَسَى وَتُتَرجِمُ
فَمُدُّوا أَكُفَّ المُسعدينَ بِدَعوَةٍ وَصَلُّوا عَلَى جَدِّ الحُسَينِ وَسَلِّمُوا[١]

فالشاعر يحرض نفسه وغيره على بكاء الحسين، وندبه بمراث مؤثرة شاجية حزينة، أسرى من "قفا نبك" لامرئ القيس، وفيه دلالة على تعلقه بالمشرق، وكأن الشاعر لا توفي دموعه بحزنه على الحسين، فيدعو غيره تعبيرا عن حزنه وألمه، كما يحض على الدعاء والصلاة والسلام علي جده–صلوات الله عليه– وهو مما يزين قصيدته بخاتمة حسنة، وواضح أن الأمر خرج من معناه الحقيقي إلى الحض، والندب، والتوسل[٢].

د- التكرار: والحاجة إليه في الرثاء آكد وأقوى وأشد، يقول ابن رشيق: "وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء، لمكان الفجيعة، وشدة القرحة التي يجدها المتفجع، وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد"[٣]. وقد لجأ الشعراء إليه، ومنه قول الشاعر:

يَا بَنِي حَربٍ جَفَوتُم جَدّه أَرَسُولُ اللَّهِ يُجزَى بِالجَفَا؟
يَا بَنِي حَربٍ وَلا عُذرَ لكُم أَأُطِيلُ القَولَ فِيكُم أَم كَفَى؟[٤]

استعان الشاعر (بالنداء، والتكرار، والاستفهام) للتعبير عما تمور به نفسه من تساؤلات، فجاء التعبير أوقع وأنجع، فهو نداء مكرر، مشفوع باستفهام، وهذا يشف عن تلاحق المعاني في نفس الشاعر، فهو يقذفهم بهذا النداء مرتين تأكيدا

(١) أديب الأندلس ص١٢٤، شعر صفوان: ص١٠٢.
(٢) ينظر نماذج أخرى: أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٦٥، ٦٦، ٦٨.
(٣) العمدة: ٧٦/٢
(٤) أديب الأندلس ص١١٦، شعر صفوان ص ٨٥.

للمعنى، مستنكرا ذلك الجفاء منهم لرسول الله وهم من أمته، مقيما بذلك الحجة عليهم مؤكدا أنه لا عذر لهم في قتل سبطه.

وتعانق(النداء، والتكرار، والاستفهام،) في التعبير عن تجربة الشاعر يكشف عن سوء صنيعهم، وضلالهم، وجفائهم رسول الله بقتلهم سبطه، وكأنه يجذب المتلقي بالنداء والتكرار(يَا بَنِي حَربٍ) ثم يفاجئه ويوقظه بالاستفهام: (أرسول الله..؟، أأطيل..؟) ليكشف سوء فعلهم، وعظيم جرمهم، ويؤكد على انكاره لبغيهم وعدوانهم. وهو مما يغلف الشعر بالحركة والإثارة. ومنه قول صفوان:

قَضَى اللَّهُ أَن يَقضِي عَلَيهِم عَبِيدهم لِتَشقَى بِهِم تِلكَ العَبِيدُ وَتُنقَمُ[1]

فنلاحظ تكرار(قضى/يقضي)،(عبيدهم/العبيد) وهو مما يعمق المعنى ويرسخ الفكرة، فمصرع الحسين بهذه الطريقة الغادرة هو بقدر الله –تعالى– ليشقى جند يزيد في الدنيا والآخرة، وكان لهذا التكرار دوره في الكشف عن عاطفة الشاعر الحزينة، والتأكيد على شقاء قاتليه وغيّهم، كما فيه ما يشف عن تصبر الشاعر واحتسابه هذا الخطب الذي ألمّ بالحسين وآله. ومنه قول ابن شكيل:(من الكامل)

واهًا لَهَا مِن عَشرَةٍ لَو تُتَّقَى واهًا لَهَا مِن ضَلَّةٍ لَو تُقتَفَى[2]

إن التكرار أنات وآهات وصرخات متشابهة تؤكد المعنى وتقويه، وتكشف عن حالة الشاعر النفسية التي ألمَّ بها الحزن وسيطر عليها الأسى، ولفَّها الشجن ونال منها الألم، وخاصة حين يكون في الحسين وآل بيت النبوة فالجرح أشد، والخطب أعظم، والحزن آكد. وتكرار عبارة(واها لها) يكشف عن ضلال بني

(١) أديب الأندلس ص١٢٤، شعر صفوان ص ١٠٢.

(٢) أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٦٦ .

حرب، وما فعلوه بقتلهم الحسين، وينبئ عن تحسر الشاعر، وحزنه وتألمه لما أصاب الحسين، ويوحي بعمق المأساة، وشدة الفجيعة[١].

هـ- **التضاد**: من الوسائل الفنية الخصبة التي توضح المعنى، وترسخ الفكرة، وله دوره المؤثر في الكشف عن غرض الشاعر، وإبراز الصورة بما يحدثه من الضدية التي تقع بين الألفاظ، إذ تثير القارئ، وتفاجئه، وتجذب انتباهه. وقد بدا واضحا في هذه المراثي، ومن نماذجه قول ابن أبي الخصال:

أيّ عيشٍ يطيبُ بعدَ قتيلٍ مماتَ بالمرهفاتِ أيَّ مماتِ؟..

وثووا في قصوره واطمأنوا وبناتُ الرسولِ في الفلواتِ[٢]

توسل الشاعر لبسط فكرته وتأكيدها بالتضاد والاستفهام؛ والطباق بين(أي عيش/أي ممات) يؤكد حزنه وذهاب لذة العيش وراحة البال بعد قتل الحسين، والمقابلة بين:(ثووا في قصوره / وبنات الرسول في الفلوات) تكشف عن سوء صنيع بني حربٍ في آل رسول الله، فكيف بهم وهم في قصورهم آمنين مطمئنين، وبنات آل بيت النبوة في الفلوات والعراء يندبن الحسين ومن قتل من آل البيت؟. ومنه قول صفوان:

رَضِيتَ عَدُوَّ اللَّهِ وَاللَّهُ سَاخِطُ بِمَا فَعَلَت فِي كَربَلاءَ المَآقِطُ[٣]

لقد رضي يزيد وجنده بما فعلوه في الحسين وآل بيت النبوه، واطمأنت به قلوبهم، وكأنهم انتصروا في معركة ضارية ضد أهل الشرك، ولو تأملوا لعلموا

(١) ينظر نماذج أخرى: أديب الأندلس: ص١٢٣، وشعر صفوان: ص١٠٢، أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٤٩، ٦٦ ، ٦٨.

(٢) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٣.

(٣) أديب الأندلس ص١٤٢ . شعر صفوان ص١٣٧.

أنهم أوجبوا على أنفسهم انتقام الله –تعالى–، والتضاد هنا يكشف عن عظيم جرمهم، وسوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة. ومنه قول ابن شكيل:

عَمري لَقَد جارَ الضَلالُ عَلى الهُدى بِالطِفِّ في قَتلِ الحُسَينِ وَطَفَّفا[1]

الطباق واقع بين(الضلال/الهدى) وهو يسهم في الكشف عن الصورة وإبرازها، فيزيد وجنده جاروا على الحسين وآل بيت النبوة بما فعلوه، وكشفوا عن بغضهم الدفين، وزادوا في البغي والعدوان،وقد استعار الشاعر الجور للضلال وهو من صفات الإنسان ليكشف عن ظلمهم وغيهم.وقوله:(وطففا)فيه إشارة إلى قوله تعالى:{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ}، وهو مما يخدم الصورة، ويؤكد على جورهم وشططهم، وواضح أن التضاد بات لبنة من لبنات التركيب الشعري، لها دورها في تشكيل التجربة، والكشف عن المعنى وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي، لذا بدا واضحا في مراثي الشعراء[2].

المبحث الرابع- التصوير الأدبي

تتشكل الصورة الفنية من مكونات وعناصر تتآزر وتتحد جميعها لتنتج في النهاية المعاني المتآلفة التي تثري الفكر، وتقوي الشعور، وتمتع الإحساس، فهي لا تخرج إلى حيز الوجود إلا من خلال تجربة مرت بالأديب، تحرك بها وجدانه، ومارت بها عواطفه، ففارت تلك التجربة حتى تجاوزت حدود الشعور الداخلي، فانتقلت في صور شتى لتعْبُر حاجز الشعور إلى الإحساس، لتعبِّر عن مكنون النفس وخلجات الفؤاد، وقد اصطنع لها الأديب سياقًا بيانيًا خاصًا قوامه الألفاظ، والتراكيب، والرمز الإيحائي الذي يتولد عن الألفاظ والعبارات، والإيقاع الموسيقي،

(١) أبو العباس أحمد بن شكيل ص٦٦ .

(٢) ينظر نماذج أخرى للتضاد: أديب الأندلس: ص١٢٣، ١٢٤، ١٣٦. شعر صفوان: ص١٠٢. أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٤٨.الاكتفاء: ٤٧٢/٢/١. نفح الطيب٧٠/٥.

وكل ما يدخل معجمه الأسلوبي وما يزيّن الصورة من محسنات بديعية(١).وتتجلى قدرة الشاعر في إبداعه الصورة التي تكشف عن تجربته وتثريها، ويستطيع من خلالها بث ما يجيش في صدره للمتلقي حتى يشعر بما يشعر به، فيتفاعل معه، وينفعل بتجربته، ويشاركه آماله وآلامه.

وقد عبر الشعراء عن تجربتهم في قالب أدبي أخاذ ينبئ عن انفعال حقيقي، وإحساس حي بالمواقف التي يعالجونها، والفكرة التي يرومون التعبير عنها، وقد استعانوا بالوسائل المنوّعة، وأنماط التصوير المختلفة التي أعانتهم في نقل تجربتهم، وما يختلج في صدورهم من مشاعر وأحاسيس، والبوح بما في نفوسهم من أفكار ومعان.

أولا: التأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

القرآن الكريم هو المعين الذي لا ينضب، والمنبع الذي لا يغور ولا يجدب، وقد استعان به الشعراء في تصويرهم، وتأثروا بآياته البينات، فتعطرت أشعارهم بنفحاته، وتزينت بحسن آياته، ومن ذلك قول صفوان مخاطبا يزيد:

وَلَـــو لاقَـــاكَ يَومَئِـــذٍ أَبُـــوهُ عَـــدَاكَ عَـــنِ الغَنِيمَـــةِ وَالإِيَـــابِ

وســـلط ذا الفقـــار عليـــك حتـــى تـــوارى شـــمس ظلـــك بالحجـــاب

إن عليا كرم الله وجهه–وهو من هو في الشجاعة والإقدام– لو لاقاه يزيد بن معاوية لخر صريعًا أمام سيفه. وفيه البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى:{**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**}(٢)، وهو يوحي بشجاعة

(١) ينظر: من صحائف النقد الأدبي: د. عبد الوارث عبد المنعم الحداد، ص٢٨٣، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤١٠هـ– ١٩٨٩م.

(٢) سورة ص: الآية(٣٢).

الإمام علي وأنه لو لا قي يزيدَ لانتقم للحسين وقتله شر قتلة. وقوله:"عَدَاكَ عَنِ الغَنِيمَةِ وَالإِيَابِ" فيه إشارة إلى قول امرئ القيس:(من الوافر)

وقد طَوَّفْتُ في الآفاق حَتَّى رضيتُ من الغَنِيمَةِ بالإيابِ(١)

ومن نماذج التأثر بالقرآن الكريم- أيضا-قول ابن شكيل:

أَقِمِ الصَلاةَ عَلى النَبِيِّ فَإِنَّها تَذَرُ الذُنوبَ الشُمَّ قاعًا صَفصَفا(٢)

وهو يشير إلى قوله تعالى:{**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا**}(٣) والشاعر يؤكد على مشاعره المفعمة بحب رسول الله وآل بيته، ويحض على الصلاة عليه فهي كفيلة بمحو الذنوب، وتكفير السيئات، ونماذج لجوء الشاعر إلى القرآن الكريم في رثاء الحسين كثيرة(٤).

كما كان الحديث الشريف رافدًا لإبداع الشعراء في تلك المراثي، ومنه قول صفوان:

وَأَينَ لِيَ العَزَاءُ وَقَد تَرَدّى فِرَاشُ الصَّبرِ فِي نَارِ المُصَابِ(٥)

فهو من قوله-صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّما مَثَلِي ومَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نارًا، فَلَمَّا أضاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الفَراشُ وهذِه الدَّوابُّ الَّتي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها،... الحديث"(٦). ومن ذلك قول ابن جابر:

---

(١) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص ٩٩، دار المعارف، القاهرة، الرابعة ١٩٨٤م.

(٢) أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش:ص ٦٨.

(٣) سورة طه: الآيتان(١٠٥، ١٠٦).

(٤) ينظر نماذج أخرى، أديب الأندلس: ص ١١٦. شعر صفوان: ص٨٥. الاكتفاء:٤٧١/٢/١. أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٦٦ . نفح الطيب: ٧١/٥ .

(٥) أديب الأندلس ص ٩٩ . شعر صفوان،ص٣٢.

(٦) صحيح البخاري(الجامع الصحيح) تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، =

وبالحسنين السيِّدين توسلي بجدهما في الحشر عند تفردي
هما قرتا عين الرسول وسيدا شباب الورى في جنة الخلد في غد
وقال: هما ريحانتاي، أحب من أَحبهما فاصدقهما الحب تسعد[(١)]

فالشاعر ينظر في هذه الأحاديث الشريفة: قال–عليه الصلاة والسلام: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"[(٢)]. وقال عن الحسن والحسين: "اللهم إني أُحِبُهما فأحبَّهُما"[(٣)] وقال:"هما ريْحَانَتَايَ من الدنيا"[(٤)]. هذه الأحاديث النبوية تكشف عن مكانة الحسن والحسين ومنزلتهما من رسول الله، وعلى كل مسلم أن يعي هذه المكانة ويقدرهما حق قدرهما، وفيها ما يشف عن ثقافة الشاعر الدينية، وبراعته الأدبية.

ثانيا- التشخيص والتجسيد

هما من وسائل التصوير المهمة الكاشفة للمعنى، المؤكدة للفكرة، الباعثة في التصوير الحركة والحيوية والإثارة، والمتعة الفنية. وقد راوح الشعراء بين التشخيص والتجسيد فخلعوا على مظاهر الطبيعة صفات الإنسان، وألبسوا

=

١٨٨/٤، باب الانتهاء عن المعاصي، حديث رقم (٦٤٣٨)، المطبعة السلفية، القاهرة، الأولى١٤٠٠هـ.

(١) شعر ابن جابر الأندلسي، ص٦٤ .

(٢) سنن الترمذي(الجامع الصحيح): تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ٦٥٦/٥ (باب مناقب الحسن والحسين)، حديث رقم (٣٧٦٨)، طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الثانية ١٣٨٨هـ–١٩٦٨م.

(٣) صحيح البخاري: ٣١/٣ (باب مناقب الحسن والحسين)، حديث رقم (٣٧٤٧).

(٤) السابق: ٣٢/٣ (باب مناقب الحسن والحسين)، حديث رقم (٣٧٥٣)، وسنن الترمذي رقم (٣٧٧٠).

الجمادات لباس الحياة، مما كان له أثر واضح في إضفاء الحركة والحيوية على شعرهم. ومنه قول صفوان:

وحــق لــي البكــاء فــإن حزنــي يثيــر الــدمع فــي جفــن الســراب[١]

وهي صورة استعارية موحية تكشف عن براعة الشاعر، إذ جعل السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا–إنسانا، فلو علم بمصاب الشاعر وحزنه لفاضت جفونه بالدموع الغزار حزنا وألمًا لِما ألمَّ به. هذا التشخيص يوحي بحزن شديد سيطر على الشاعر على مصرع الحسين، وقد أضفى على المعنى العمق والوضوح، وعلى الفكرة القوة والرسوخ، وعلى الصورة الحركة والحيوية. ومنه قوله يخلع على المعاهد الدينية المطهرة في مكة والمدينة صفات الإنسان، فيجعلها تأسى وتحزن لما حل بالحسين في كربلاء:

مَصَارِعُ ضجَّت يَثربٌ لِمُصَابِهَا وَنَاحَ عَلَيهِنَّ الحَطِيمُ وَزَمزَمُ
وَمَكَّةُ وَالأَستَارُ والرُّكنُ والصَّفَا وَمَوقِفُ جَمعٍ والمقَامُ المعظَّمُ
وَبِالحَجَرِ المَلثُومِ عُنوَانُ حَسرَةٍ أَلستَ تَرَاهُ وَهوَ أَسوَدُ أَسحَمُ؟!
وَرَوضَةُ مَولانَا النَّبِيّ مُحَمَّدٍ تَبَدَّى عَلَيهَا الثُّكلُ يَومَ تُخُرِّمُوا
وَمِنبرِه العُلوي وَالجِذعُ أَعوَلا عَلَيهِم عَوِيلاً بِالضَّمَائِرِ يُفهَمُ[٢]

كما يخاطب يوم الطف، وعاشوراء[٣] ويجعل منهما إنسانا. وابن شكيل يخاطب البرق، ويخبر عن حزن مقام إبراهيم والبيت ذي الأستار[٤]. وهذا ناهض

(١)أديب الأندلس: ص ٩٩. شعر صفوان: ص٣١.

(٢) أديب الأندلس ص١٢٣، وشعر صفوان بن إدريس ص١٠٠، ١٠١. تخرموا: ماتوا وذهبوا.

(٣) ينظر: أديب الأندلس: ص٩٩، ١٣٦. شعر صفوان: ص ٣٢ ، ١٣١.

(٤) ينظر: أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش:ص ٤٧.

يخاطب حمامة تبكي مخبرا إياها عن حزنه وبكائه الحسين متسائلا عن سبب بكائها:

إيـــه حمامـــة خبرينـــي إننـــي أبكـي الحسـين وأنـت مـا أبكـاك؟[١]

لقد أضفوا على الجمادات ومظاهر الطبيعة صفات الإنسان وجعلوها تبكي وتحزن، وتتألم، وتتحسر، وكلها من لوازم الإنسان. هذا التشخيص منح الصورة القدرة على التأثير والحركة، وله أثره البيّن في الكشف عن التجربة، وصبغها بالحيوية والثراء الفني، وهو يصور أثر الرزء، ويكشف عن فداحة النازلة في نفوس الشعراء، ومدى تعلقهم بالحسين، كما يؤكد على حزنهم وتألمهم. ومن نماذج التجسيد قول ابن أبي الخصال:

أتنتهـــب الأيـــام أفـــلاذ أحمـــد وأفـــلاذ مـــن عـــاداهم تتـــودد[٢]

جسد الشاعر الأيام وجعلها شيئًا محسوسًا، فشبهها بوحش كاسر، أو طائر جارح ينتهب الأفلاذ ويفتك بها، وهو يتعجب من انتهابها أفلاذ محمد–صلى الله عليه وسلم–، متجاهلة أفلاذ أعدائه الذين أشاعوا فيهم القتل والذبح، ولم يرعوا في آل بيت رسول الله إلًا ولا ذمة. ومنه قول أبي بحر التجيبي:

سَـــلاَمٌ كأَزهـــار الرُّبَـــى يُتَنَسّـــمُ عَلَـــى مَنـــزِلٍ منـــهُ الهُـــدَى يُـــتَعَلّمُ

عَلـــى مَصـــرَعٍ لِلفـــاطِمِيِّينَ غُيِّبَـــت لأوجُهِهِـــم فِيـــهِ بُـــدُورٌ وَأَنجُـــمُ[٣]

جسد الشاعر السلام وجعله عبقًا يُتنسم كأزهار الربى التي ينبعث منها الأريج الشذي، فهو سلام فيه رقة وعذوبة، وحنين وحب إلي منزل النبوة ومنبع الهدى، كما شبه وجوه آل البيت بالبدور والأنجم المضيئة، تهدي السارين في

(١) نفح الطيب : ٧٠/٥ .

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: ٤٧١/٢/١.

(٣) أديب الأندلس ص١٢٣، وشعر صفوان بن إدريس: ص١٠٠.

الظلم إلى السبيل القويم، ونور الحق واليقين. وقريب من هذا التصوير قول ابن شكيل:

تندى الوجوه نجيعا وهي مشرقة كأنها في دجى الهيجا مصابيح[1]

وهو تصوير يكشف عن براعة الشاعر، ويضفي على تصويره الإثارة والحيوية، ويوحي بحنين الشاعر إلى آل بيت النبوة، ويكشف عن حب عميق متمكن من قلبه، كما يضفي على التصوير الحيوية، ويكشف عن براعة الشعراء في توظيف التشبيه في مراثيهم الحسين[2].

ثالثا- التصوير التقريري: وفيه يعتمد الشاعر على دلالات الألفاظ وإيحاءاتها، وتآلف الكلمات وإرشاداتها، دون اللجوء إلى التصوير البياني-غالبا، فالصورة التقريرية هي "التي تتقرَّر هيئتها لدى المتلقي بوسَاطةِ مدلول كلمات التعابير التي نهضت برسمها من غير اللجوء إلى أساليب البيان"(٣)، ونكتفي بنموذج واحد لها وهو قول صفوان متخيلا حال السيدة فاطمة لما علمت بمقتل ولديْها، يقول:

وَأَقبَلَتِ الزَّهراءُ قُدسَ تُربُهَا تُنَادِي أَبَاهَا وَالمَدَامِعَ تَسجُمُ
تَقُولُ أَبِي هُم غَادَرُوا ابنَيَّ نُهبَةً لِمَا صَاغَهُ قَينٌ وَمَا مَجَّ أرقَمُ
سَقَوا حسنًا بِالسُّمِّ كَأسًا رَوِيَّةً وَلَم يَقرَعُوا سِنّا وَلَم يَتَنَدَّموا
وهم قَطَعُوا رَأسَ الحُسَينِ بِكَربَلا كَأَنَّهُمُ قَد أَحسَنُوا حِينَ أَجْرَمُوا

---

(١) أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص٤٨.

(٢) ينظر: نماذج أخرى للتشخيص والتجسيد والتشبيه: أديب الأندلس: ص١٤٢. الاكتفاء:٤٧١/٢/١، ٤٧٢. أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٤٧، ٤٩، ٦٥، ٦٦. شعر ابن جابر: ص٦٥.

(٣) بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق: د. كامل حسن البصير، ص ٢٦٨، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

فَخُذ مِنهُمُ ثَارِي وَسَكِّن جَوَانِحًا وَأجفَانَ عَينٍ تَستَطِيرُ وَتَسجُمُ
أَبِي وَانتَصِر لِلسِّبطِ وَاذكُر مُصَابَهُ وَغُلَّتَهُ والنَّهرُ رَيَّانُ مُفعَمُ(١)

يتخيل الشاعر فاطمة وقد علمت بمقتل ولديها، تنادي أباها، وتستغيث به أن يستنزل عقاب الله –تعالى– على من بدد بهجة قلبها، وأنسها، وأظلم نور قلبها، ونال من قرة عينها، وفرق بينها وبين ولديها، وسامهما ألوان الظلم والعذاب، فمات الحسن بالسم، ومات الحسين ظمئا مذبوحا.

وإذا كانت للألفاظ إيحاءات ودلالات وظلال بما تحمله من تأثير، وبما تملكه من طاقة تعبيرية ورحابة معنوية غنية الدلالة، وظلال إيحائية تكشف عن المشاعر والأحاسيس– فالألفاظ والعبارات(أقبلت، تنادي، تقول، المدامع تسجم، نهبة، سكن جوانحا) تكشف عن قلق واضطراب وحركة متتابعة متلفعة بالحزن والألم من فاطمة، وتوحي بفداحة الخطب، وشدة النازلة، وأثرها الموجع الذي قرح كبدها، وألهب فؤادها.

والكلمات:(غادروا، سقوا، قطعوا، لم يقرعوا، لم يتندموا) توحي بالحقد الدفين المسيطر على قلوب قاتليه، وتكشف عن جرأتهم وشنيع فعلهم، وتشف عن عدم توانيهم فيما أقدموا عليه نحو ابنيْ رسول الله وريحانتيه. وأفعال الأمر:(خذ، سكن، انتصر، اذكر) توحي بالتسليم وعدم القدرة، وتشبثها بأبيها لما أصابها من أثر هذا الرزء الذي سلب الأجفان كراها، والأبدان قواها، وتكشف عن فداحته وأثره، فقد ملأ قلبها بالحزن والأسى، وأصاب بدنها بالوهن والسقم. والطباق بين(أَحسَنُوا/أجرمُوا)، يكشف عن بهجة هؤلاء القتلة لما نالوه من ابن بنت رسول الله، وكأنهم انتصروا في معركة ضارية في سبيل الله ضد أهل الشرك، ولو تأملوا لعلموا أنهم قاتلوا في سبيل الطاغوت، وما قتلوه، ولكنهم أوجبوا على أنفسهم انتقام

(١) أديب الأندلس: ص١٢٣، وشعر صفوان: ص ١٠١.

الله تعالى لآل بيت نبيه. والطباق بين(سَكِّن/تَستَطِيرُ) يكشف عن حزن فاطمة الذي لا ينقطع ولا يهدأ. والتصوير يكشف عن قلب مكلوم ممزق، ونفسٍ مستطارةٍ بلوعتِها،وكبدٍ مُذابة بروْعتها، وجوانح ملتاعة من آثار الحزن والحسرة.

إن حسن اختيار الشاعر للغة التي تتسم بالإيحاء والتأثير، والظلال والدلالات والإيحاءات الفياضة– مما يثري المعنى، ويكشف عن جمال الصورة ويوضحها، والكلمة هنا هي التي رسمت الصورة، وكشفت عن خطر الموقف، وأوحت بشدته وضراوته، وتأثيره في النفس.

رابعا- توظيف التراث الشعري: كما لجأ الشعراء إلى ديوان الشعر القديم يستقون منه ما يسعفهم في تصوير الموقف، وتجويد التجربة، بما يضفي على شعرهم دلالات تعمق المعنى وتقويه، وتدعم الأفكار وتبرزها، وتكشف عن ملكتهم الأدبية، والفنية، ومن ذلك قول صفوان:(من الرمل)

اندب الطف وسبط المصطفى بمراث هي أسرى ممن قِفَا[1]

فهو يشير إلى قصيدة امرئ القيس:(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)؛ وانشغاله بهذا التراث المشرقي جعله يخمّس من قصائده في مراثي الحسين على حروف المعجم، وذيّل مراكزها بأعجاز هذه القصيدة(٢)، وله قصيدة أخرى ذيلها أعجازا من قصيدة امرئ القيس التي أولها:(ألا عم صباحا أيها الطلل البالي)(٣). وفي هذا ما يكشف عن اتصاله بالتراث الشعري المشرقي وتوظيفه في شعره. ومنه قوله يؤكد على منزلة الحسين ومكانته، فيرى أن أي قتيل لا يوافي قدر

(١) أديب الأندلس: ص١١٦. شعر صفوان: ص ٨٤.

(٢) ينظر: أديب الأندلس:ص ١٣٥. شعر صفوان: ص١٣١.

(٣) ينظر: أديب الأندلس ص١٤١. شعر صفوان: ص ١٣٧.

الحسين، وكفاه فخرا وشرفا أن جده–صلى الله عليه وسلم– هو خاتم النبيين والمرسلين، كما أن أباه عليًا خاتم الخلفاء الراشدين، يقول:

أَيُّ سِبطٍ لَو قُتِلتُم عِندَهُ وُقُتِلتُم كُلُّكُم مَا انتَصَفَا
جَدُّه لِلأَنبِيَاءِ خَاتِمٌ وَأَبُوهُ خَاتِمٌ لِلخُلَفَا
لَيسَ يَحتَاجُ إِلَى تَسمِيَةٍ إِن سَكتْنا عَن حُسَينٍ عُرِفا[١]

فالحسين معروف مشهور لا يفتقر إلى تسمية أو وصف، وله منزلة عالية، وكأن الشاعر يشير في بيته الأخير إلى قول الفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين: (من البسيط)

وليس قولك: من هذا؟ بضائره العُرب تعرف من أنكرت والعجم[٢]

وفيه ما يكشف عن ثقافة الشاعر، ووقوفه على التراث الشعري السابق عليه، وتأثره بأشعار المشارقة.كما يؤكد على مكانة الحسين وارتفاع منزلته. ومنه قول ناهض:

أتروم ويك شفاعة من جده هيهات لا ومدبر الأفلاك
ولسوف تنبذ في جهنم خالدا ما الله شاء ولات حين فكاك[٣]

فهو من قول أبي الأسود الدؤلي:(من الوافر)

أَتَرجُو أُمَّةٌ قَتَلَت حُسَينا شَفاعَةَ جَدِّهِ يَومَ الحِسابِ[٤]

---

(١)أديب الأندلس: ص١١٦، وشعر صفوان بن إدريس: ص٨٥.

(٢) شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشرحها:إيليا الحاوي ٣٥٣/٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الأولى ١٩٨٣م.

(٣) نفح الطيب ٧١/٥.

(٤) ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ص ٣٢٩، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الثانية ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

وهو استفهام فيه إنكار واستبعاد أن ينال شفاعة النبي–صلى الله عليه وسلم– أولئك الذين تجرؤوا وقتلوا حسينا، ولم يرعوا في جده وقرابته للنبي إلًا ولا ذمة، فعليهم من الله ما يستحقون، والنماذج كثيرة تكشف عن استعانة الشعراء بالشعر في تصويرهم(١).

خامسا- العاطفة: تبدو عاطفة الشعراء الصادقة واضحة جلية بداية من مطلع القصيدة حتى نهايتها، فالقصيدة بكائية يغلفها الحزن ويلفها الأسى، ويسير بين أبياتها الألم معبرا عن حزن الشاعر وتأثره بهذا الخطب الجلل الذي حل بأمة الإسلام، وما حمل الشاعر على تدبيج هذه البكائية هو حبه لآل البيت وإيمانه الكامن في نفسه، وتأثره الصادق لما أصاب هذا الرمز الديني العزيز على قلب كل مسلم.

والعاطفة هي الانفعال والإحساس بالموقف الذي يعالجه المبدع، ولها أهميتها في العمل الأدبي، وأهم مقاييسها أن تكون صادقة غير مفتعلة، والصدق هنا مقصود به الصدق الفني. ويتحقق لها ذلك عندما تنبعث عن سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع، حتى تكون صادقة عميقة تهَبُ للأدب قيمةً خالدة(٢).

وقد تحقق لهذه البكائيات صدق العاطفة، فجاءت التجربة معبرة عن حزن الشاعر وأحاسيسه، ومشاعره، كاشفة عن شعوره نحو هذا المصاب الذي رزئت به الأمة، بدا ذلك جليا في كل أجزاء القصيدة بدءًا بالمطلع حتى الختام، حيث نجد فوران الفؤاد، وحرارة الانفعال بالموقف، وقوة الشعور، وصدق الإحساس بمرارة الفقد وأثر ذلك على النفس تنطق به أجزاء القصيدة.

---

(١) ينظر نماذج أخرى: أديب الأندلس: ص١٤٢.شعر صفوان: ١٣٩. أبو العباس أحمد ابن شكيل: ص٤٧، ٦٧.

(٢) ينظر: أصول النقد الأدبي:أحمد الشايب، ص١٩٠، متبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٩٤م.

والدليل على صدق العاطفة وقوتها لدى هؤلاء الكتاب: إحساس المتلقي بمشاعر الحزن ومرارة الألم بين جنبات هذه القصائد من آثار هذا الرزء الجسيم، وشعوره بما يشعر به الشاعر من التألم والحزن والأسى لهذا الرمز الإسلامي وما حل بآل بيت النبوة من قتل، وسبي، وذل، وانكسار على يد جند يزيد. إن قوة العاطفة تتضح بمقدار انفعال المتلقي وتأثيرها في نفسه، فإذا حرك النص عواطف المتلقي وأثار مشاعره كان صادق العاطفة قوي الشعور(١). وهذا ما وجدناه واضحا في هذه القصائد، فهي تفيض بقوة الشعور، وعمق المشاعر،وصدق الأحاسيس، والسمو بالتجربة إلى أعلى درجاتها الفنية. وقد مرت بنا النماذج التي تكشف عن ذلك، ومنها قول ابن أبي الخصال:

عرِّجْ على الطفِّ إن فاتتكَ مكرمةً ... واذرِ الدموعَ بها سحًّا وهتّانا

وابكِ الحسينَ ومن وافى منيَّته ... في (كربلاء) مضوا مثنىً ووحدانا[٢]

وقوله:(من الطويل)

فيا خاتم الأسباط إن تحيتي ... تؤمك من أرض بعيد وتقصد

مثقلة بالدمع شوقا ولوعة ... على زفرة من حرها أتأود[٣]

وقول التجيبي:(من الطويل)

أقول لحزن في الحسين تأكدا ... تملك فؤادي متهما فيه منجدا

ولو غير هذا الحزن راح أو اغتدى ... لناديته قبل الوصول مرددا[٤]

(١) ينظر:في النقد الأدبي:د.عبد العزيز عتيق،ص١١٢، دار النهضة العربية، بيروت١٩٧٢م.

(٢) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٢.

(٣)الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: م١/ج٢/٤٧٢.

(٤) أديب الأندلس: ص١٣٦. شعر صفوان: ص ١٣٠.

وقوله:

سأقضـــي عليـــه لوعـــة ومراثيـــا فـــأفني حيـــاتي والبكـــا والقوافيـــا[١]

وقول ابن شكيل:

يا عين جودي على قتل الحسين دما وابكـي جهـارا فـان الوجـد تصـريح[٢]

وأقول: أفي صدق الشعراء في هذه الأبيات شكٌ؟! إن هذه النماذج وغيرها تكشف عن صدق عاطفتهم، وتؤكد على حبهم للحسين، وتنبئ عن قلوب مكلومة، وجوانح ملتاعة، ونفوس ثائرة سيطر عليها الأسى والحزن والألم، فألهب جوانحها، وأقض مضجعها، وأفاض عبَراتها.

إن الحسين ليس شخصا عاديا، أو قريبا، أو خليفة، أو أميرا، أو قائدا، وإنما شخصية لها رمزيتها الدينية، ودلالتها المقدسة في نفس كل مسلم، والشعراء لم ينظموا هذه البكائيات تزلفا، أو طمعا في ولاية أو عطايا، وإنما دفعهم لذلك حبهم للحسين، وآل بيت رسول الله، وفي هذا ما يكشف عن بلوغهم غاية الصدق، وقوة الشعور، وعمق الإحساس.

وقد أدرك الشعراء منزلة الحسين من رسول الله، فهو سبطه وريحانته، وابن بنته، وابن عليّ–كرم الله وجهه–، وسيد شباب أهل الجنة، وهم على وعي تام بأن حبهم له من حبهم لنبينا الكريم– صلوات ربي عليه– وكانوا يدركون وهم ينفسِّون عن أنفسهم، وينفُثُون زفراتهم وأنّاتهم في أشعارهم، كاشفين عن حزنهم وأشجانهم يعبرون فيها عن أشواقهم وحنينهم وحبهم للنبي وآل بيته، فحبهم الحسين مرتبط بحبهم لجده عسى أن ينالوا من شفاعته عند ربهم، يوم لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا.

---

(١) أديب الأندلس: ص١٤٤ . شعر صفوان: ص ١٤١.

(٢) أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص٤٩.

لقد استطاع الشعراء أن يصوروا هذه الفاجعة تصويرًا حيًا، يوحي بشدة الرزء، وفداحة الخطب، وعمق الفاجعة، ويكشف عن تأثر الشعراء بهذا الموقف الجلل الذي أثر في نفوسهم– بل في نفوسنا– تأثيرا واضحا فتألموا، وسيطر عليهم الحزن، فبكوا الحسين بكاء حارا، يكشف عن حبهم له ولآل بيت النبوة، فسلام على الحسين وعلى آل بيت رسول الله في الأولين والآخرين.

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية

الموسيقى من العناصر المهمة التي تكتمل بها الصورة الأدبية، وعنصر أساس من عناصر التشكيل الشعري، تضفي على النص الشعري حركة وحيوية وإثارة، ولها في النفس تأثير لا ينكر، تحرك الشعور، وتأخذ بالألباب، لما لها من إيقاع يشد المتلقي ويجذبه إلى متابعة الصورة حتى النهاية، إنها "تحقق غاية الشعر من التأثير وإثارة العواطف والانفعالات"[(١)]. وتتنوع موسيقى البيت الشعري بين خارجية تتمثل في الوزن والقافية وما يتصل بهما، كالروي، والتصريع، وداخلية تعتمد تآلف الألفاظ، وتوافقها، ودلالاتها.

أولا- الموسيقى الخارجية

تتمثل الموسيقى الخارجية في الوزن والقافية وما يتصل بهما كالتصريع والروي، وعلاقة ذلك بتجربة الشاعر.

١-**موسيقى الوزن**: الوزن من أهم العناصر في بناء النص الشعري؛ وأعظمها وأولاها به خصوصية[(٢)]، وقد وفق الشعراء في اختيار البحور والأوزان التي تتفق مع تجربة الرثاء، وتتناسب مع البكاء والندب،، وتكشف عن مشاعرهم،

(١) عضويّة الموسيقى في النصّ الشعريّ: د.عبد الفتّاح صالح نافع ص٣٢، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٢) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:١/١٣٤.

فنظموا على البحور الطويلة، وجاء أكثر شعرهم في رثاء الحسين على وزن بحر الطويل، يليه بحر البسيط، ثم الكامل، والوافر، والرمل، والخفيف.

والسبب في إيثار الشعراء هذه البحور يعود إلى أن التجربة هي التي فرضت عليهم هذه الأوزان الطويلة، ففيها مساحة تستوعب التعبير عن الأحزان والآلام والبث، والنجوى، وإطلاق الآهات والأنات، وإرسال الزفرات والعبرات، وهي تتماشى مع حالتهم النفسية والشعورية، وتتوافق مع التجربة الشعرية، فالحزن والتألم والأسى والشجن والبكاء والرثاء، والندب، والثورة والغضب، وعمق المأساة، وخطر المصيبة، وشدة الرزء، كلها معان تتواءم مع هذه الأوزان وتستدعيها، فجاءت موسيقى هذه البحور معبرة عن المعنى الذي أراده الشاعر، كاشفة عن تجربته الشعرية.

أ- **فالطويل والبسيط** أطول بحور الشعر العربي، وأعظمها أُبهة وجلالة، ويتسعا لشتى المعاني، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة، وفيهما يفتضح أَهلُ الركاكَةِ والهجَنةِ[1]، وبحر الطويل رحب يتسع لجل التجارب الشعرية، وله القدح المعلي في النظم عليه في شعرنا العربي، لذا نظم الشعراء عليه وأكثروا. ومن نماذجه قول ابن جابر:

وأن الحسين الصابر الحازم الذي ... متى تقصر الأبطال في الحرب يشدد
شبيه رسول الله في البأس والندى ... وخير شهيد في الحرب يشدد
لمصرعه تبكي الدموع بحقها ... فلله من جرم وعُظم تمرد[2]

(١) ينظر:المرشد إلى فهم أشعار العرب:عبد الله الطيب١/ ٤٤٣، دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

(٢) شعر ابن جابر الأندلسي: ص٦٥.

فأنت واجد أن المقام مقام جدٍ وسموٍ، والمعاني تتسم بالأبهة والجلال، تغلفها نغمة حزينة وإيقاع شجي، لذا تواءمت مع تفعيلات الطويل وموسيقاه الشجية الرصينة.

ب–والبسيط أخو الطويل في الجلالة والروعة والأبهة[١]، وفي موسيقاه مخرج للتوجع ومساحة للتأمل الحزين، وسبيل للتعبير عن الألم والفجيعة،ومن نماذجه قول ابن شكيل:

ضَلَّت حُلومُ أُناسٍ كَيفَ لَم يَردوا نارَ الكِفاحِ وَزَندُ الحَربِ مَقدوحُ...
طافوا بِرَأسِ اِبنِ خَيرَ الناسِ كُلِّهِمُ بِئسَ الطَوافِ وَنِعمَ الرَأسِ وَالروحُ
وَلَستُ أَبسُطُ قَولاً في دَعِيِّهِمُ كُلُّ الدَعيّينَ مَلعونٌ وَمَقبوحُ[٢]

فالشاعر جوانحه ملتهبة، وقلبه يحترق ألما لما فعله هؤلاء الطغاة بالحسين دون مراعاة لحرمته، وحرمة آل بيت رسول الله، وجاءت تفعيلات البسيط الرحبة لتستوعب هذا كله، وتكشف عن ألم الشاعر وحزنه.

ج– ويأتي بحر الكامل في المرتبة الثالثة في الأوزان التي نظم عليها الشعراء في بكائهم الحسين، ويتسم وزنه بالأبهة والجلال، وتضفي تفعيلاته على الأبيات موسيقى هادئة جادة. وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله قويًا فخمًا جليلا[٣]، لذا فهو يتسع للتعبير عن مشاعر الأسى والحزن والحنين والجزع، ومن نماذجه قول ابن شكيل يحرض عينه على بكاء الحسين:

وَأَبكِ عَلى السِبطينِ بَعدَ أَبيهِما حُبّاً لِجَدِّهِما الرَحيمَ الأَرأَفا
عَمري لَقَد جارَ الضَلالُ عَلى الهُدى بِالطِفِّ في قَتلِ الحُسَينِ وَطَفَّفا[٤]

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: ١/ ٥٠٧.
(٢)أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص ٤٩.
(٣) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: ١/ ٣٠٢ .
(٤)أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص ٦٦.

فالنغمة الحزينة البائسة تسيطر على القصيدة كلها، وقد أسعفته موسيقى الكامل في بسط معانيه، وبث لواعجه، والتعبير عن آلامه وأحزانه.

د- وبحر الوافر يتسم بنغمة قوية رنانة، وأكثر ما يصلح في الاستعطاف والبكائيات والتعبير عن مشاعر الغضب الممزوجة بالهجاء[١]. ويبدو هذا واضحا في هذه البكائيات التي يمتزج فيها الحزن والأسى والحنين بالغضب الثائر والجزع على ما أصاب الحسين وآل البيت في كربلاء، وتكشف عن غضب الشاعر وحنقه، في إيقاع سريع متوثب، يتلاءم مع حالة الشاعر النفسية الثائرة[٢].

هـ- كما أجاد الشعراء العزف على أوتار تفاعيل الرمل؛ وهي تصلح للأغراض الترنمية الرقيقة الهادئة، وفيها نوع من التأمل الحزين[٣]، وهي تتناسب مع التفكير الهادئ، والحزن الوادع[٤].

٢- **موسيقى القافية**: القافية لا تقل أهمية عن الوزن، فهي شريكته في اختصاصها بالشعر(٥). ولها أهميتها في إحداث إيقاع صوتي تضيفه إلي موسيقى البيت، وهي تمثل نهايته بموسيقاه التي لا تكتمل دونها، إضافة إلى ما تشتمل عليه من المعاني والدلالات.

أ- الروي أبرز عناصر القافية، ومن خلاله تتكشف موسيقى البيت واضحة، فلا تظهر القافية واضحة إلا بأن يشتمل الشعر على ذلك الصوت المكرر في

(١) ينظر:المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٤٠٦/١ ، ٤٠٧.

(٢) ينظر: أديب الأندلس: ص ٩٩. شعر صفوان: ص٣١، ٣٢.

(٣) ينظر:المرشد إلى فهم أشعار العرب:١٥٨/١ .

(٤) ينظر: أديب الأندلس: ص ١١٦، شعر صفوان ص: ٨٤، ٨٥.

(٥) ينظر: العمدة: ١٣٩/١. وهي تمثل عند الخليل: الحرف الأخير في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن. ينظر: السابق: ١٥١/١.

آخر كل بيت(١). وقد جاء الروي في هذه القوافي على حروف:(الباء، الدال، الميم، والنون) وهي من الحروف كثيرة الشيوع في الشعر العربي القديم، وحروف(التاء، والحاء، والفاء، والكاف) وهي من الحروف متوسطة الشيوع(٢). وقد وفق الشعراء في اختيار قوافيهم، وجاءت جميعها مطلقة، وهو ما يترك مساحة للتعبير عن الحزن. من نماذج قافية(الباء) قول الشاعر:

إذا جادت دموعي في انتحاب فما دعوى الغمام في الانسكابِ(٣).

والباء من الحروف الشديدة القوية، من صفاته القلقلة والجهر، وهي من الصفات التي تتواءم مع مشاعر الغضب والثورة، وهي مشاعر قوية حادة غاضبة تتناسب مع صوت الباء الذي جاء رويا للقصيدة. وقد جاءت حركتها مكسورة لتؤكد على انكسار الشاعر وحزنه وتألمه لما أصاب الحسين وآل بيته في كربلاء. وقريب منها صوت الكاف، وقد جاء رويا لبعض هذه المراثي، وتحسن(الكاف) رويًا إذا جاءت للخطاب وقبلها حرف مد لم تكن للخطاب، وبها تتم الموسيقى وتحسن(٤) كما في قول ناهض:

أمرنةَ سجعتْ بعود أراك قولي مولهةً علام بكاكِ؟(٥)

ففيها من صفات الشدة ما يناسب أنّات الشاعر وآهاته، وجاءت حركتها مكسورة لتدل على انكسار الشاعر، وتجعل المتلقي يتفاعل معه ويشاركه حالة الانكسار النفسي المسيطر عليه وعلى القصيدة، ومن ثم فالحركات تسهم في

(١) ينظر: موسيقى الشعر:إبراهيم أنيس: ص٢٤٥، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ١٩٧٨م.
(٢) ينظر: السابق ص ٢٤٦.
(٣) أديب الأندلس: ص٩٩. شعر صفوان: ص٣١.
(٤) ينظر: موسيقى الشعر:٢٤٩.
(٥) نفح الطيب: ٧٠/٥ .

توضيح الدلالة وطرحها للمتلقي. كما يساهم(صوت الألف) الذي قبل الروي(الردف) في(الانسكابِ، بكاكِ) في تكثيف هذا الانكسار، وهو حرف لَيّن يوحي بالألم ومشاعر الحزن، ويمنح الشاعر الفرصة لإشباع عواطفه، وفيه مساحة للبث والتعبير عن مشاعر الحزن والأسى.

ب- وأكثر هذه القوافي جاءت مسبوقة بحرف لين، وأصوات المد واللين تمنح الشاعر الفرصة لإشباع عواطفه،وفيها مساحة للبث والتعبير عن مشاعر الحزن والأسى–كما سبق–لذا فهي تتواءم مع الرثاء،وتناسب البكاء، ومن نماذجها قول ابن أبي الخصال:

عرِّجْ على الطفِّ إن فاتتكَ مكرمةً وأذرِ الدموعَ بها سحَّاً وهتّانا[1]

فصوت النون الموصول بالألف(هتانا) دليل على دوام الحزن والأسى عند الشاعر وكأنه يعبر عن حزنه المستمر الممدود الذي لا ينقطع. لذا فهو يناسب الحالة الشعورية، ويساهم في إفراغ تلك الطاقة المشحونة بالشجن والألم والغضب. وقوله:

لهفُ نفسي على الحسينِ ومن لي إن تقضّي حقوقَه عبراتي[2]

وصوت (التاء) مهموس، جاء مكسورا بعده ياء وصل، وقبله ألف مد(عبراتي) فالقافية مردوفة، وهذا المد، والكسر، والوصل فيه من الإيحاء بالحزن والألم ما يكشف عن حالة الحزن الممض، ولواعج الأسى على مصارع أهل البيت، وفيه ما يكشف عن حالة الحزن والانكسار المسيطرة على الشاعر، ويعطيه فسحة لبث أحزانه وشكواه ومشاعره. ومنها قول ابن شكيل:

أَحَقٌّ ما كانَ مِن قَلبي تَباريحُ فَليُهنِئ العَينَ إنَّ الدَمعَ مَسفوحُ[3]

(١) مأساة الحسين في الشعر الأندلسي: ص٩٢ .

(٢) السابق: ص٩٣ .

(٣)أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: ص٤٧.

وصوت الحاء ضعيف، رخو، مستفل، وهو يكشف عن حالة من الحزن الهادئ، فالحزن في القصيدة فيه تؤدة ووداعة تتواءم مع صفات صوت الحاء، ويأتي حرف اللين الواو(الردف) قبل الحاء ليكثِّف من نزعة الحزن المستمرة الهادئة التي تسيطر على الشاعر في وداعة وحنين، كأنه يحزن في صمت، صابرا محتسبًا.

ج- وجل هذه المراثي جاءت مصرعة، والتصريع يعكس حالة الشاعر النفسية وما سيطر عليه من حزن ويأس، وأسى وشجن، وهو يعطي الشعر طلاوة ومائية وموقعا في نفس القارئ، ذلك أنه يحرك الإحساس بالقافية في نهاية البيت قبل الوصول إليها. ومن ذلك **التصريع** بين(انتحاب) و(الانسكاب)، وبين(أراك) و(بكاكِ)، وهذا التماثل الواقع في الوزن والتقفية أدى إلى وجود إيقاع داخلي وموسيقى ناشئة من ترديد هذه الحروف المتماثلة، وهو مما يساهم في إثراء الإيقاع وتكثيفه من خلال التجانس الصوتي الذي ينشأ بين المقاطع في نهاية كل مصراع من البيت، وما ينجم عن التكرار الصوتي من أثر سمعي يشد انتباه المتلقي ويؤثر في نفسه(١).

إن التنوع في القافية فرضته على الشاعر الدفقة الشعورية، والوقفة الانفعالية، وإحساس الشاعر، وقد تآخت هذه القوافي وتواءمت لتعبر عن تجربة الشعراء الحزينة الشجية المؤلمة، وتؤكد على حزنهم وتألمهم وتكشف عن أنّاتهم وآهاتهم، وتوحي بوقع الرزء، وشدة المصيبة وخطرها، ووقعها الشديد على النفس.

ثانيا: الموسيقى الداخلية

(١) ينظر: ينظر نماذج أخرى للتصريع: أديب الأندلس: ص١١٦. شعر صفوان: ص٨٤. أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٦٥.

تظهر الموسيقى الداخلية في براعة الشاعر في نظم الكلمات، وترتيبها وتنسيقها، وعنايته بحسن الجرس، ومواءمته بين الألفاظ والمعاني وحالته النفسية، والتجانس بين اللفظ والمعنى حتى يكون لها نغم وإيقاع يرتاح إليه الذوق الشعري. واختيار الحروف والكلمات وتوزيعها موسيقيًا في أنحاء النص الشعري–من العوامل المهمة التي تؤدي إلى بروز إيقاع داخلي يجذب المتلقي، ويكشف عن أحاسيس الشاعر وانفعالاته ومشاعره، كما يشف عن إبداعه وإحساسه بالعنصر الصوتي ووقع الكلمات.

أ- موسيقى الحرف: هي ذلك النغم الصوتي الذي يحدثه الحرف داخل النص الشعري، ومدى ملاءمة هذا النغم للتيار النفسي والشعوري عند الشاعر(١). والشاعر الموهوب هو الذي يستطيع أن يحقق التوافق النغمي، والانسجام اللفظي بين الحروف، وذلك بأن يوافق بين أصوات الحروف ووقعها، وبين حالته الشعورية والنفسية. ومن ذلك قول الشاعر:

إنَّ في (كربلاءَ) كربا سقيما فتنَ المؤمنينَ والمؤمناتِ
فاتني نصركمْ بنصلي فنصري بفؤادٍ مجددُ الزفراتِ
وقوافٍ موسومةٍ بدموعٍ قدحتْ في توقّدِ الجمراتِ(٢)

إذا نظرنا في البيت الأول نجد تكرار صوت (الكاف)و(الراء) و(الباء) مرتين، كما نلاحظ تكرار صوت كلمة (كربلاء، وكربا) تأكيدا على كرب الشاعر وحزنه، وهو مما يشف عن انشغاله بما وقع على أرضها للحسين. وتكرار صوت (الفاء) والذي تكرر(سبع مرات) في هذه الأبيات، وهو حرف ضعيف رخو، نجح

(١) ينظر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: د. صابر عبد الدايم ص ٢٨، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٢) مأساة الحسين في الشعر الأندلسي: ص٩٣ .

الشاعر في توزيعه، وأن يحقق به نمطًا موسيقيًا واضحًا، وإيقاعًا خفيًا يسري داخل البيت الشعري- يكشف عن ضعف الشاعر وعدم قدرته على نصرة الحسين وآل بيت النبوة إلا بقواف حزينة، وفؤاد متّقد، وجوانح ملتاعة. كما أن صوت(الصاد) تكرر في البيت الثاني (ثلاث مرات) وهو يحدث صفيرًا وصوتًا واضحًا، وكأن الشاعر ينصره بهذه الكلمات التي تصلصل وتجلجل، وكأنه يصرخ معبرا عما في نفسه من أسى وحزن. وحرف (الدال) تكرر ثلاث مرات، وهو من حروف القلقلة، التي تحدث دويا عند نطقها، وكأن الشاعر يصدح بها معبرا عن أناته وزفراته، كما تكرر حرف (الميم) (أربع مرات)، وهو من الأصوات التي تصلح في موضع الرقة وتتناسب مع التأمل، وقد أشاع في النص موسيقى هادئة تسري في أجزاء البيت. ومن نماذج موسيقى الحرف-أيضا- تكرار أصوات حروف اللين في قول الشاعر:

إذا جادت دموعي في انتحاب فما دعوى الغمام في الانسكاب
وَحُقَّ لِيَ البُكَاءُ فَإِنَّ حُزنِي يُثيرُ الدَّمعَ فِي جَفنِ السّرَابِ
وَأَينَ لِيَ العَزَاءُ وَقَد تَرَدّى فَرَاشُ الصَّبرِ فِي نَارِ المُصَابِ
وَيَا عَينَيَّ إن لَم تَستَهِلا ثَكِلتُكُمَا إذًا بَينَ السِّحَابِ
عَلَى سِبطِ الرَّسُولِ عَلَى حُسَينٍ عَلَى نَجلِ الشَّهِيدِ أَبِي تُرَابِ[1]

فنلاحظ تكرار أصوات حروف اللين، وكأن الشاعر يعبر عن آهاته وأناته بهذه المدود(جادت، دموعي، انتحاب، الغمام، الانسكاب، البكاء،حزني، يثير، السراب، العزاء، فراش، نار، المصاب، السحاب، تراب). وإلى جانب موسيقى الحرف نجد تكرار مدلول الكلمات (دموعي، الانسكاب، البكاء، الدمع، جفن، عيني، تستهلا)، (على سبط، على نجل)، وهو يؤكد سيطرة الحزن والألم على

(١) أديب الأندلس: ص٩٩. شعر صفوان بن إدريس: ص٣١.

نفس الشاعر، وهذا التكرار من شأنه أن يشيع موسيقى داخل النص الشعري ويكثف من وجود الإيقاع.

كما نجد التواؤم بين حالة الشاعر النفسية وبين الألفاظ والمعاني، فالأبيات يشيع فيها ألفاظ الحزن والبكاء ومعاني الألم والحسرة، ففيها (الدموع، والانتحاب، والبكاء، والانسكاب، والحزن، الدمع، والعزاء، والصبر، والمصاب) فالبكاء يناسب الدمع، والجفن، والحزن، والعزاء يناسبه الصبر، وغيرها من الألفاظ التي تتواءم مع المعنى وتتفق معه، وهو مما يكثف من الإيقاع الخفي في أبيات القصيدة.

إن تكرار حرف معين في حد ذاته ربما لا يعنى شيئا إذا جاء منفردا خارج الإطار التركيبي للكلمة، وإنما تظهر قيمته عند دخوله في تركيب لفظي، ومن هنا يكتسب اللفظ إيقاعًا خاصًا، ونماذج الموسيقى النابعة من الحروف وأصواتها تبدو واضحة في مراثي الشعراء لمن يتلمسها[1].

ب- موسيقى الكلمة: إذا جاءت الكلمة في موقعها المناسب من النص أحدثت إيقاعًا موسيقيا مؤثرا، وذلك أن يكون اللفظ "رقيقا في موضع الرقة، قويا عنيفا في موضع القوة والعنف، وأن تتوفر فيه صفة الجرس الموسيقي، وألا يكون مبتذلا أو كثير الشيوع لا يرتاح إليه الذوق الشعري"[2]. والشاعر الجيد هو الذي يستطيع التوفيق بين الكلمات ودلالاتها، ويجانس بين اللفظ والمعنى، ويراعي الانسجام الصوتي بين الألفاظ، بما يكثف من موسيقى البيت الشعري، ومن نماذج موسيقى الكلمة قول ابن أبي الخصال:

وما الدينُ إلا ديـــنُ جدِّهمُ الذي بـه أصـدروا فـي الصـالحينَ وأوردوا

(١) ينظر نماذج أخرى: أديب الأندلس: ص١٣٦. شعر صفوان: ص١٣٢. أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٤٩، ٦٦، ٦٧، ٦٨. نفح الطيب: ٧١/٥.

(٢) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: ص ٢٠.

ينـامُ النصـارى واليهـودُ بـــأمنهمْ ونومُهـــمُ بـالخوفِ نـومٌ مشـرَّدُ[١]

فنجد أن كلمة (الدين) و(دين) في الشطر الأول من البيت الأول، وكلمة (ينام) في صدر البيت الثاني، وكلمتي (نومهم)، (ونوم)، في عجز البيت الثاني يدخل تحت (**رد الصدر على العجز**)، وهذا التكرار من شأنه أن يوقظ المتلقي وينبهه لهذا الصوت المكرر، كما يساهم في تكثيف الإيقاع في النص الشعري.

هذا اللون من ألوان الإيقاع الموسيقى تنبه القدماء إلى قيمته وأثره في الشعر، وسماه ابن المعتز: "**رد أعجاز الكلام على ما تقدمها**"، فمنه ما توافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في الشطر الأول، ومنه ما توافق آخر كلمة أول كلمة من نصفه الأول، ومنه ما توافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه[٢] .

وتكمن قيمة هذا اللون البديعي الإيقاعي في أنه يدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعراء إذا كان كذلك، ويكسب البيت الذي فيه أُبّهة ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة"[٣]، إذ إنه يربط أول البيت بآخره برباط موسيقى، وفيه نوع من التكرار الموسيقى المحبب إلى النفس، وذلك من خلال إعادة أصوات الحروف المكررة، كما كان للطباق بين(أصدروا/أوردوا) دوره في تنمية الموسيقى الداخلية في النص الشعري، والتكثيف من الإيقاع. ومن موسيقى الكلمة أيضا قول صفوان:

أَيُّ سِـــبطٍ لَـــو قُتِلـــتُم عِنـــدَهُ وُقُتِلـــتُم كُلُّكـــم مَـــا انتَصـــفَا

جَـــدُّه لِلأَنبِيَـــاءِ خَـــاتِمٌ وَأَبُـــوهُ خَـــاتِمٌ لِلخُلَفَـــا...

---

(١) الاكتفاء: ٤٧١/٢/١.

(٢) ينظر: البديع لابن المعتز ، تحقيق : إغناطيوس كراتشقوفسكى، ص٤٧ ، ٤٨، دار المسيرة ، بيروت، الثالثة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

(٣) ينظر: العمدة ٣/٢ .

يَـا بَنِـي حَـربٍ جَفَـوتُم جَـدّه أَرَسُـولُ اللَّـهِ يُجـزَى بِالجَفَـا[١]

فنجد أصوات كلمة (قتلتم) في صدر البيت الأول وعجزه، وأصوات كلمة (خاتم) في صدر البيت الثاني، وحشو العجز، وتكرار أصوات كلمتي(جفوتم/ والجفا) وهو مما يزيد من موسيقى البيت الشعري، فتكرار أصوات حروف الكلمة في البيت الشعري مما يكثف الإيقاع، ويشيع في النص موسيقى حفية، وهو مما يدعو المتلقي إلى الانتباه واليقظة لهذا الصوت المكرر، والتفاعل مع الشاعر.

ومن موسيقى الكلمة ما يقع فيها من **جناس**، ومن نماذجه قول الشاعر:

يَزِيـدُ فَكـم يَزِيـدُ عَلَيـكَ حِقـدِي رُزِئـتَ الفَـوز مِـن حُسـنِ المَـآبِ[٢]

وقوله:

مُصَابِي بِآلِ المُصطَفَى لَيسَ يَبرَحُ فَيَـا لَـكَ تَجـرًا فِـي مَـالِيَ يَـربَحُ[٣]

فالجناس في كلمة (يزيد)، وبين(يربح/ يبرح) يكثف من الإيقاع الداخلي في البيت، وذلك بتكرار أصوات هذه اللفظة المكررة، وله دوره في تكثيف الإيقاع الموسيقي في البيت الشعري، والنماذج كثيرة تكشف عن ذلك[٤].

٣- **موسـيقى العبـارة**: تظهر موسيقى العبارة في حسن تأليفها، والتآخي والترابط بين أصوات حروفها ومفرداتها، وما توحيه هذه المفردات من دلالات وإيحاءات تعمق المعنى وتقويه، وتكشف عن الفكرة وترسخها في

(١) أديب الأندلس:ص ١١٦. شعر صفوان بن إدريس: ص٨٥.

(٢) أديب الأندلس:ص ٩٩. شعر صفوان بن إدريس: ص٣٢.

(٣) أديب الأندلس: ص١٤٢. شعر صفوان بن إدريس: ص١٣٦.

(٤) ينظر نماذج أخرى: أديب الأندلس: ص١٣٥، ١٤٤. شعر صفوان بن إدريس: ص ١٣١، ١٣٩، أبو العباس أحمد بن شكيل: ص٤٨، ٤٩، ٦٦، ٦٧، ٦٨. نفح الطيب: ٧١/٥.

ذهن المتلقي. وقد ذكرت جانبا من ذلك استدعاه التحليل في موسيقى الحرف، وموسيقى الكلمة، ومن ذلك قول ابن أبي الخصال:

لهفُ نفسي على الحسينِ ومن لي إن تقضّي حقوقَه عبراتي..
لهفُ نفسي على قتيلٍ يُعزى عنه خيرُ الآباءِ والأمَّهاتِ[١]

إن تكرار عبارة (لهف نفسي) مرتين، مما ينمي الإيقاع الداخلي في النص، ويكثف من وجود الموسيقى الداخلية ويثريها، ويؤدي إلى توثيق المعنى في ذهن المتلقي، ويؤكد على حزن الشاعر البالغ مداه.

وتكرار صوت الكلمة مرة أخرى في النص الشعري يضفي عليه نوعا من الموسيقى، وترديد أصوات معينة في البيت الشعري يكثف الإيقاع ويزيد من موسيقاه، وهو مما يدعو إلى إيقاظ المتلقي ويجذب انتباهه لهذا الصوت المكرر. ومنه قوله:

حرموهُ ماءَ الفراتِ ولولا جدّه ما سُقوا بماءِ الفراتِ[٢]

فنجد أن عبارة (ماء الفرات) في البيت الأول ترتبط معنويًا وموسيقيًا بعبارة (ماء الفرات) في آخر البيت، وفي هذا من الموسيقى ما هو واضح بيِّن، وهو من (رد العجز على الصدر)، كما أن الطباق الواقع بين (حرموه) في أول البيت،(سقوا)، يثري الإيقاع ويكثف من موسيقى البيت الداخلية، وفيه ما يكشف عن سوء صنيعهم، وحقدهم، ومن موسيقى العبارة قول الشاعر:

أَلا طَرَبٌ يُقلَى، أَلا حُزن يُصطَفَى أَلا أَدمُعٌ تُجرَى، أَلا قَلبٌ يُضرَمُ[٣]

إن حسن تقسيم العبارات في الشطر الأول والثاني، والتوافق بينها في الوزن وعدد الحروف، مما ينمي الإيقاع الداخلي في النص، ويكثف من وجود

(١) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٣.
(٢) السابق: ص٩٣.
(٣) أديب الأندلس: ص١٢٤. شعر صفوان بن إدريس: ص١٠٢.

الموسيقى الداخلية ويثريها، ويؤدي إلى تعميق المعنى في نفس المتلقي، ويوحي بحزن دائم سيطر على نفس الشاعر وألهب جوانحه، وأذاب قلبه. والإيقاع ينبعث هنا من الانسجام والتوازن اللفظي الذي يتم بالاختيار الملائم للكلمات، وترابط الأصوات، وتوافق الحركات والسكنات بين الوحدات المتقابلة، وهو مما يؤدي إلى وجود إيقاع متكرر يضيف إلى الموسيقى ثراء ومتعة فنية. ومنه قول ابن شكيل:

إنّـــي لَأَشـــرَقُ بِـــالزُلالِ تَـــذَكُّرًا لَهُـــمُ وَأَقلَـــقُ بِـــالنَعيمِ تَأَسُّـــفا[1]

فنجد عبارة (لَأَشرَقُ بِالزُلالِ تَذَكُّرًا) تقابل أصوات عبارة (وَأَقلَقُ بِالنَعيمِ تَأَسُّفا) في الوزن والقافية وعدد الحروف، هذا التقابل والتعادل بين هذه الألفاظ كأنه تصريع داخل البيت الشعري، وهذا التساوي بين الكلمات، والتواؤم بين مدلولها وأصواتها وما توحي به- يتواءم مع الحالة الشعورية لدى الشاعر، ويحدث أصواتا موسيقية رخيمة وإيقاعا هادئا يعكس تجربة الشاعر، ويساعد على إبراز مشاعره وأحاسيسه إلى المتلقي.

والتنوين من العناصر الصوتية التي تمثل ثراءً لغويًا وإيقاعيًا، لما له من رنين منتظم وتناغم رقيق ومنه قول الشاعر:

عرِّجْ على الطفِّ إن فاتتكَ مكرمةً واذرِ الدمـــــوعَ بهـــا ســـحّاً وهتّانـــا

وابكِ الحسيـــنَ ومن وافى منيَّته فـي (كربلاء) مضوا مثنىً ووحدانا[2]

والتنوين هنا يشكل إيقاعا واضحا، بحيث لو فقدناه لم نستشعر لذة الإيقاع، كما يكشف عن عاطفة الشاعر الحزينة من خلال ترديده في نهاية كل بيت (سحا وهتانا، مثنى ووحدانا..الخ) وهو يحدث جرسا موسيقيا يشد المتلقي بترديد هذه النغمة، وقد جاءت مرثية الشاعر على هذا المنوال في جل أبيات القصيدة.

والتضاد من العناصر التي تكثف من موسيقى البيت الشعري وتوقظ المتلقي وتجعله يتفاعل مع الشاعر في تجربته، ومن نماذجه قول الشاعر:

---

(١) أبو العباس أحمد ابن شكيل: ص٦٧.

(٢) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي: ص٩٣.

على مثلِ ما أمسي من الحبِّ أصبحُ، زنادُ فؤادي باللواعجِ تقدحُ

ولو أن قلبي للتجلدِ يجنحُ لفاضت جفوني بالسواكب تطفحُ[(١)]

والطباق واضح بين(أمسي/أصبح)، وفيه ما يكشف عن انشغال الشاعر وحزنه، والتهاب جوانحه لما آل إليه آل بيت النبوة في كربلاء، وقد تساوت أصوات الكلمتين المتقابلتين بما أحدث من موسيقى خفيفة متوثبة تثري في ثنايا البيت الشعري. كما كان للجناس الواقع بين(تقدح/يجنح/تطفح) دوره في تكثيف الإيقاع .ومنه أيضا قول الشاعر:

طافوا بِرَأسِ ابنِ خَيرَ الناسِ كُلِّهِمُ بِئسَ الطَوافِ، وَنِعمَ الرَأسِ وَالروحُ

وَلَستُ أَبسُطُ قَولاً في دَعِيِّهِمُ كُلُّ الدَعيّينَ مَلعونٌ وَمَقبوحُ[(٢)]

فنجد المقابلة بين (بئس الطواف/نعم الرأس) تكشف عن سوء صنيع بني حرب، وجرم ما أقدموا عليه، هذه المقابلة فاجأت المتلقي، ونبهته للبون الشاسع بين المعنيين، ولها دورها في إحداث موسيقى خفية بين الكلمات المتقابلة تسري في ثنايا النص الشعري، والكشف عن حالة الشاعر النفسية.

كما نجد التماثل بين حروف الكلمات (طافوا/ الطواف)، (دعيهم/ الدعيين)، وتكرار أصوات هذه الحروف، والتماثل بين كلمة (ملعون/ ومقبوح) في الوزن وعدد الحروف وهذا كله مما يكثف الإيقاع الداخلي.

إن الشعراء في مراثيهم الحسين استطاعوا أن يوظفوا الموسيقى الخارجية للكشف عن أفكارهم ومعانيهم، والكشف عن تجربتهم وذلك من خلال الأوزان والقوافي التي تميل إلى موسيقاها الأسماع، وتعود بالفائدة على الهيكل العام للتشكيل الإيقاعي في القصيدة. كما وظفوا الحروف، والكلمات، والعبارات، لإثراء

(١) أديب الأندلس: ص١٣٥. شعر صفوان: ص١٣٣.

(٢) أبو العباس أحمد ابن شكيل: ص٤٩.

شعرهم بالموسيقى الداخلية التي تعطي إيقاعا موسيقيا يشد المتلقي ويجذبه، ويضفي عليه الحيوية، ويميزه بالإيقاعية، ويكشف عن الفكرة ويبرزها، ويوضح المعنى ويرسخه، ويحقق للتجربة السمو.

خاتمــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله. وبعد: فقد انتهى البحث إلى النتائج الآتية:

- وجد الأندلسيون في الحسين وما أصابه من ظلم وغدر وتعذيب رمزًا معبرًا عن مأساتهم، وما هم فيه من ويلات الاستعمار، ولم يجدوا رمزا أشد إيحاءً وتأثيرًا في النفوس منه، فراحوا يسطرون فيه القصائد الثكلى والمراثي البواكي التي تفيض حزنا وألما وشجوًا وحنينا وشوقا إلى آل بيت رسول الله، وطفقوا يبثون شجونهم في رثائه، وبكاء من كان معه من آل بيت النبوة.
- صور الشعراء هذه الفاجعة تصويرا حيًا، يكشف عن عمق المأساة وخطرها، وشدتها على النفوس المؤمنة، وهو تصوير يوحي بانفعال الشعراء الصادق بما أصاب الحسين وآل بيت النبوة في كربلاء.
- بدت نزعة الحزن جلية في هذه القصائد، فلها وجود بيّن، وأثر بارز، وحركة واضحة تسري في أفكارها ومعانيها، بل في ألفاظها، بدا ذلك واضحا في تعبير الشعراء عن حزنهم وتألمهم، حيث نجد حرارة الانفعال بالموقف، وقوة الشعور، وعمق الإحساس بجلال هذا الخطْب وعظمته، ومدى تأثيره على النفس.
- أشاد الشعراء بشمائل الحسين ومحامده، وجليل أوصافه، وجميل خصاله، بما يناسب المقام، ويتواءم مع الموقف، تهوينًا من شأن الرزء، ووقع المصاب، معبرين عن مدى حزنهم وأسفهم، مصورين أثر الفادحة على أنفسهم وعلى الأمة كلها.
- كما تعرضوا في بكائهم الحسين لقاتليه بالسبّ أحيانًا، وباللعن أحيانًا أخرى، واتهموهم بالكفر، كما كالوا الهجاء والذم لبني أمية، وقد طغت فكرة الهجاء والذم لبني حرب على أفكار المرثية، فلم تخل قصيدة منها. كما توسلوا

ببكائهم الحسين إلى ربهم رجاء عفوه، متخذين من ذلك سبيلا لمغفرة ذنوبهم، وشفاعة نبيهم الكريم.

- عمد الشعراء إلى الوسائل المنوعة، وأنماط التصوير المختلفة في التعبير عن أفكارهم، والكشف عن معانيهم، وتصوير مشاعرهم، فاستعانوا بأساليب التعبير المنوعة كالاستفهام، والنداء والتكرار، والتضاد، وغيرها، كما لجئوا إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واستقوا من ديوان الشعر القديم ما يناسب الغرض، ويحقق الفكرة، واستعانوا بالتشخيص والتجسيد والتصوير التقريري الذي يعتمد الألفاظ وما توحي به الكلمات من دلالات، وما تشعه من ظلال وإيحاءات، وغيرها، وقد استطاعوا أن يوظفوا هذه الوسائل في التعبير عن عواطفهم وانفعالاتهم، والكشف عن معانيهم وأفكارهم، بغية تأكيد المعنى وتحقيقه، وإقناع المتلقي والتأثير فيه.
- اتسمت هذه المراثي بالعاطفة الصادقة، والمشاعر الجياشة، فجاءت التجربة معبرة عن صدق الشاعر، بدا ذلك جليا في كل أجزاء القصيدة حتى نهايتها، حيث نجد فوران الفؤاد، وحرارة الانفعال بالموقف، وقوة الشعور، والإحساس بمصرع الحسين وأثر ذلك على النفس تنطق به أجزاء القصيدة.
- وجدت في المرثية الحسينية تواؤمًا وتلاؤمًا بين أفكارها ومعانيها وصورها، إذ يلفها رابط واحد يهيمن عليها من أولها إلى آخرها، هو الحزن والألم، والأسى والشجن، وكانت هذه المراثي بمعانيها وأفكارها وصورها متوائمة مع الجو النفسي الذي يعيشه الشعراء، ملتحمة به، مفضية في النهاية إلى تعانق الأفكار مع المعاني، وتآزر الشكل مع المضمون، معبرة عن إحساس الشاعر الصادق تجاه سبط رسول الله وأل بيته، والسمو بالتجربة إلى أعلى درجاتها الفنية.
- استطاع الشعراء توظيف الموسيقى الخارجية للكشف عن أفكارهم ومعانيهم، والكشف عن تجربتهم وذلك من خلال الأوزان والقوافي التي تتواءم مع الرثاء،

وتميل إلى موسيقاها الأسماع، وتعود بالفائدة على الهيكل العام للتشكيل الإيقاعي في القصيدة، كما وظفوا الحروف، والكلمات، والعبارات لإثراء شعرهم بالموسيقى الداخلية التي تعطي إيقاعا موسيقيا يشد المتلقي ويجذبه، ويضفي عليه الحيوية، ويميزه بالإيقاعية، ويكشف عن الفكرة ويبرزها، ويوضح المعنى ويرسخه، ويحقق للتجربة السمو.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلَّى اللهُ- تعالى- على سيدنا محمد وآله.

فهرس المراجع

أولا- المراجع

- أبو العباس أحمد بن شكيل شاعر شريش: د. حياة قارة، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، الأولى ١٩٩٨م.
- الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، السادسة١٩٨١م.
- أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، عمر قصير وعطاء غزيز، د.محمد بن شريفة، مطبعة النجاح، المغرب، الأولى١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٤١١هـ-١٩٩١م.
- أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، ١٩٩٤م.
- إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام للسان الدين بن الخطيب، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م. (الجزء الذي يعنى بالمشرق، وعثر عليه المحقق مؤخرا).
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- البديع لابن المعتز ، تحقيق : إغناطيوس كراتشقوفسكى، دار المسيرة، بيروت، الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق: د. كامل حسن البصير، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، الأندلس د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٩م.

- تاريخ الطبري: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م.
- تحفة القادم لابن الأبار، تحقيق:د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الرابعة ١٩٨٤م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسّام الشنتريني، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩م.
- الرثاء: د. شوقي ضيف، سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، الثالثة ١٩٧٩م.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الثانية ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشرحها:إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الأولى ١٩٨٣م.
- شعر ابن جابر الأندلسي، صنعة: د. أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين، دمشق، الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م .
- شعر صفوان بن إدريس: تحقيق:د.هالة عمر إبراهيم، القاهرة، الأولى ٢٠١٢م.
- صحيح البخاري الجامع الصحيح تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، الأولى١٤٠٠هـ.

- عضويّة الموسيقى في النصّ الشعريّ: د.عبد الفتّاح صالح نافع، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي الحسن علي بن رشيق، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، القاهرة ، الخامسة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- في النقد الأدبي:د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت١٩٧٢م..
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: الفتح بن خاقان، تحقيق: د.حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- كنز الكتاب ومنتخب الآداب لأبي إسحاق اليونسي، تحقيق: حياة قارة، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م.
- لسان العرب: جمال الدين بن منظور، دار المعارف، القاهرة ، بدون.

- المرشد إلى فهم أشعار العرب:عبد الله الطيب، دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٨م.
- المُغرِب في حلى المغرب:ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م.
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م.
- من صحائف النقد الأدبي: د. عبد الوارث عبد المنعم الحداد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: د. صابر عبد الدايم، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- موسيقى الشعر :إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ١٩٧٨م.
- نَفْحُ الطَّيب من غصن الأندلس الرطيب: الشيخ أحمد بن محمد المقَّرِّي التلمساني، تحقيق: د.إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

ثانيا- الدوريات

- مجلة المناهل: الأعداد:(١٢، ١٤، ١٦) ١٩٧٨، ١٩٧٩م، وزارة الشئون الثقافية بالمغرب. (مأساة الحسين في الأدب الأندلسي): د.عبد السلام الهراس.